بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد:

قال الإمام المصنف -رحمه الله تعالى-: «**باب جامع الوقوت**»

قال رحمه الله: **٢١ – حدثني يحيى عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله -ﷺ- قال: :"الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله"**.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تقدم معنا أن الإمام مالك -رحمه الله- يترجم بهذه الترجمة: (باب جامع الوقوت)، وأن المراد من هذا جمع الأحاديث التي لا تنتظم تحت عنوان واحد، وإن كانت في الأصل تتصل بالمواقيت، أو تتصل بما يضاف إليه الجامع.

وقوله: «**جامع الوقوت**» أي: في هذا الموضع سأذكر لك جملة من الأبواب والأحاديث الواردة التي تضمنت بعض الأحكام المتفرقة والمتعلقة بالوقوت.

والمراد بالوقوت وقوت الصلاة كما تقدم معنا، وتقدم تعريف ذلك وبيان مراد العلماء منه.

ذكر -رحمه الله- حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما وأرضاهما-، وهذا الحديث اشتمل على أمرين:

الأمر الأول: تعظيم أمر الصلاة، وأن فواتها أمر عظيم، عظيم البلاء على العبد في دينه، ودنياه وآخرته.

وثانيا: تعظيم أمر صلاة العصر على وجه الخصوص، وبين النبي -ﷺ- أن من فاتته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله، الذي تفوته صلاة العصر، الفوات هنا فيه خلاف بين العلماء ر-حمهم الله-، قال بعضهم: هو فوات وقت الصلاة، وهو مذهب الأكثرين، وإن كانوا قد اختلفوا في التفصيل هل هو الوقت الاضطراري، أو الوقت

الاختياري؟ وقال بعض العلماء: إن المراد بالفوات فوات الصلاة مع الجماعة كما قال المهلب ومن تبعه .

والقول الأول أظهر، وهو أرجح، أن هذا متعلق بفوات وقت الصلاة، وليس المراد به فوات الجماعة، ويشهد لذلك ما سنذكره إن شاء الله تعالى ونبينه في القولين في تفصيل فوات الوقت.

إذا كان الذي يظهر أن الفوات المراد به فوات وقت الصلاة، فإنه يرد السؤال هل المراد فوات وقت الاختيار أم فوات وقت الاضطرار؟ وهذا الخلاف مبني على قول من يقول: إن العصر لها وقت اختياري ووقت اضطراري، وقد بينا أن هذا القول هو أرجح القولين من أقوال العلماء والعلم عند الله، وبينا ما دل على رجحانه من الأحاديث الصحيحة عن رسول الله- ﷺ-، وأن هذا هو مذهب جمهور العلماء -رحمة الله على الجميع-.

إذا ثبت أن للعصر وقتا اختياريا ووقتا اضطراريا، فحينئذ يرد السؤال هل المراد بقوله: «الذي تفوته صلاة العصر» أي: يفوت وقتها الاضطراري بمعنى أن تغيب الشمس ولم يصل العصر؟ أم المراد أن يفوت الوقت الاختياري وهو إلى الاصفرار كما بيناه، وبينا دليله من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- كما في الصحيح: "**وقت صلاة العصر ما لم تصفر الشمس**"، فأما من قال: إنه الوقت الاختياري وهو قول عبد الله بن وهب -رحمه الله-، ويحتمله قول مالك في تفسيره للفوات، والذين قالوا: إنه الوقت الاضطراري، وهي رواية يحتملها قول مالك -رحمه الله-، وقول بعض أصحابه، وروي عن الأوزاعي، كما في سنن أبي داود، هذا القول يقول: العبرة بالوقت الاضطراري، وأكدوا هذا القول بأن ابن جريج سأل نافعا، فقال: إذا غابت الشمس، قال: نعم أي: أنه لا يصلي العصر حتى تغيب الشمس، قال: نعم، وهذا من تفسير الراوي، ونافع من الرواة، مع أنه يعد من الفقهاء والعلماء، ولذلك عدوا تفسيره على هذا الوجه حجة.

في الحقيقة هذا الوعيد الوارد في الحديث عن النبي -ﷺ- أن من فاتته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله، إن كان المراد به الوعيد، وأنه وقع في مصيبة وبلاء عظيم، وجاء

على صفة العقوبة يترجح قول من قال: إنه فوات وقت الاضطرار، ويحتمله وقت الاختيار على حديث: «**يجلس أحدهم حتى إذا كانت الشمس بين قرني شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيهن إلا قليلا**» كما في حديث أنس في الصحيح عنه -رضي الله عنه وأرضاه-، وبهذا إذا قلنا: إن العصر ينقسم إلى وقت الاختيار والاضطرار، وكان تأخيره لصلاة العصر لعذر، فحينئذ يحمل على عظم الخير الكثير الذي فاته، ولا يخرج الحديث مخرج العقوبة والذنب، وإن كان المراد به أنه للعقوبة، والتوبيخ والتأنيب، فحينئذ يقوى ماذا هل خروج وقت الاضطرار؟، أو خروج وقت الاختيار؟

من يرى انقسام الصلاة إلى اختياري، واضطراري لورود السنة بالذم على تأخير الصلاة إلى غروب الشمس كما بيناه في انقسام الوقت أي: وقت العصر إلى اختياري واضطراري.

إذن فالإشكال فقط في هذا الوصف من رسول الله -ﷺ- أنه إذا فقد أهله وماله، إذا قيل: إنه في بلاء وحسرة وندامة فاته من الخير كحال من فاته أهله وماله، فحينئذ يستقيم أنه ليس على باب العقوبة، ويدخل فيمن سهى عن الصلاة، ونسيها أو غفَل عنها فهو معذور، لكنه لم يحز على الأجر والفضل؛ لأن العذر يسقط العقوبة، لكنه لا يوجب المثوبة من كل وجه، وإن كان المعذور في بعض الوجوه يكتب له أجره كاملا كما ثبتت السنة في أحاديث صحيحة، وهو الذي عنده عذر يحول بينه وبين العمل، لكن الذي يتعاطى أسباب الإهمال، والتقصير يكون مورده مورد التوبيخ لا على سبيل العقوبة والذنب.

وفي هذا التشبيه الذي يوصف الإنسان أنه وَتِر أهله وماله، أصل هذا اللفظ فيمن أصيب بمصيبة في أهله وقومه وقرابته وطلب الثأر، ولذلك من أصيب بالمصيبة في أهله، أو قومه، أو قرابته، فإنه طلب الثأر على عادة العرب، فإذا نظر إلى حاله وجد أنه قد اجتمعت عليه مصيبتان: مصيبة الفقد للقريب، والمصيبة التي يحمل فيها هم أخذ الثار لذلك القريب، فأصبحت عنده مصيبتان، فالذي تفوته الصلاة شبهه النبي -ﷺ- على هذا الوجه، لعظم فوات الخير عليه إن كان معذورا، وإلا فإن كان غير معذور فإنه من باب أولى وأحرى أن يكون -والعياذ بالله- قد حاز من البلاء، وحل به من النقمة

بفوات شعيرة الصلاة عليه.

قوله: «**صلاة العصر**» خصت صلاة العصر بهذا لعظم شأنها، والذي يظهر والله أعلم أن هذا الأمر معني بصلاة العصر، ولذلك يحتج به من لا يرى كفر تارك الصلاة؛ لأن النبي -ﷺ- خص بهذا على الوجه الذي قلنا إنه جاء على وجه العقوبة، فإنه يكون خاصا بصلاة العصر، ولو كان الذي تفوه الصلاة متعمدا كافرا لشمل الصلاة كلها، ولقال عليه الصلاة والسلام: الذي تفوته الصلاة كأنما وتر أهله وماله.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «صلاة العصر» خصت بهذا لأنها هي الصلاة الوسطى، وهذا أيضا يقوي مذهب من قال: إن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، وقد بينت السنة عن رسول الله -ﷺ -كما في الصحيح ،ودلت على أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، قال -ﷺ-: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا**» هذا الحديث في الصحيح قاله عليه الصلاة والسلام يوم الخندق، فقد شغله المشركون وكانوا -أي: النبي ﷺ وأصحابه- يردون على المشركين؛ لأنه في أيام الخندق كان في بعض الأيام أيام نضح ورمي بالنبال، فكان النبي -ﷺ- والصحابة يدافعون، وشغلوا بالمدافعة عن الصلاة، وقال هذا كما في الصحيح: «**ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر**» فهذا نص واضح في أن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى، ولما كانت هي الصلاة الوسطى فهي أعظم الصلاة وأفضل الصلوات الخمس، وإذا كانت أفضل الصلوات الخمس فلا غرابة أن تخص بهذا لعظيم ما خصها الله -ﷻ- به من الخصائص.

ومناسبة هذا الحديث لباب الوقوت واضحة؛ لأنه إذا كان المراد به أن الإنسان إذا فوت وقت الصلاة الاختياري، ووصل إلى وقتها الاضطراري سواء بتفويت الاختياري، أو تفويت الاضطراري، أنه يذم بهذا الذنب، أو يحصل له هذا النقص، كما يكون حاله حال نقص كحال الذي فقد أهله وماله، فإن هذا يدل على أهمية العناية بوقت الصلاة.

جاء في سنن الدارقطني عن النبي -ﷺ- أنه قال: «**إن العبد ليصلي الصلاة وما يصليها في وقتها ولما فاته من وقتها خير له من أهله وماله**»، وهذا الحديث نذكره في الفتوى، وفي الدروس وفي بعضها: «**خير له من الدنيا وما فيها**» بالمعنى؛ لأن ما يملكه

الإنسان في هذه الدنيا هو أهله وماله، والتعبير بالمعنى في هذا مستقيم؛ لأنه ثبتت السنة عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: «**لأن أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»، وهذا جزء الصلاة ووقت الصلاة أعظم ما في الصلاة، فقد قال رسول الله -ﷺ- لما سئل عن أحب الأعمال إلى الله قال: «**الصلاة على وقتها**»، وهذا الحديث حديث الدارقطني فيه مراسيل منها مصححة عن وغيره بنفس اللفظ: «**إن العبد ليصلي الصلاة وما يصليها في وقتها ولما فاته من وقتها خير له من أهله وماله**»، ودلت هذه السنة على أهمية وقت الصلاة، وأن على المسلم أن يحرص على إيقاع الصلاة في أول وقتها، وتقدم معنا في باب المواقيت أن الأفضل في الصلوات الخمس من حيث الأصل أن تقدم في أول وقتها، إلا ما استثناه الشرع، واستثنى الشرع صلاتين: الصلاة الأولى: صلاة العشاء؛ لأن النبي -ﷺ- كما في الصحيح كان يستحب أن يؤخر من العشاء التي تدعى العتمة، كمافي حديث جابر -رضي الله عنه-، وأيضا عن أبي برزة ،قال أبو برزة رضي الله عنه: «**وكان يستحب أن يؤخر من العشاء التي تدعونها العتمة**»، وكذلك أيضا ثبت في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه لما أعتم بصلاة العشاء وأخرها، خرج عمر يصرخ ويقول: **الصلاة يا رسول الله، رقد النساء والصبيان، فخرج عليه الصلاة والسلام ورأسه يقطر وهو يقول**: «**لولا أن أشق على الناس، أو على أمتي لأمرتهم بهذه الصلاة في هذه الساعة**»، فدلت هذه السنة على استثناء صلاة العشاء، وأن الأفضل فيها التأخير، ثم صلاة الظهر كما سيأتينا لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم**»، وهذا خاص بأيام الصيف، وهل هو خاص بالجماعات أو هو شامل؟ كما سيأتي إن شاء الله بيانه في موضعه، هذان الموضعان هما اللذان استثنيا من فضيلة الصلاة في أول الوقت.

هذا الحديث إن قلنا: إنه خرج على مخرج العقوبة فلا إشكال أنه وعيد على إخراج الصلاة عن وقتها، وإن قلنا: إنه خرج مخرج الندم والألم على من فاته ما فاته من وقت الصلاة، فهو إشارة إلى أنه ينبغي العناية بوقت الصلاة وإيقاعها في وقتها المستحب، وهو أول الوقت أو آخره على الاستثناء في صلاة العشاء أو بالإبراد كما في صلاة الظهر.

هذا الحديث لاشك كما قلنا أنه أصل في العناية بالوقت، ولذلك كان السلف الصالح -رحمهم الله- يولون أمر الوقت الأهمية؛ لأن السنة دلت على ذلك.

قال العلماء: إن فعل الصلاة شيء ووقتها شيء آخر، وصفة إيقاعها شيء آخر أيضا، فيعتني المسلم بوقت الصلاة وبفعل الصلاة، والصفة التي تفعل عليها الصلاة، هذه ثلاث أمور أسس في الصلاة، الصفة التي يوقع عليها الصلاة وهي تمام الخشوع، وتمام حضور القلب، واستشعار أمر هذه العبادة العظيمة، هذه الثلاثة أمور التي ينبغي العناية بها، من أهمها الوقت لما فيه من دلالة السنة على أن أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها، وأما قول من قال: إن المراد به الجماعة، وهو قول المهلب ومن وافقه، فهذا يدل على عناية السلف الصالح بأمر الصلاة مع الجماعة، ولذلك كان الرجل إذا فاتته الصلاة مع الجماعة بكى، وكان بعضهم إذا فاتته الصلاة مع الجماعة يعزى كما يعزى من فقد عزيزا لديه لِعِظم أمر الصلاة، وقد قال -ﷺ-: «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة**» فهذه الخيرية أدركها السلف الصالح -رحمهم الله- في إيقاع الصلاة على وقتها، وإيقاعها على الصفة التي ترضي الله ﷻ، ولذلك وصف الله أهلها بالفلاح فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، فهذا الحديث أصل عند أهل العلم في بيان أهمية وقت الصلاة، وأنه ينبغي العناية به فيضاف إلى حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- سألت النبي -ﷺ- **أي العمل أحب إلى الله؟ قال:** «**الصلاة على وقتها**».

قال -رحمه الله-: **٢٢- وحدثني عن مالك عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب انصرف من صلاة العصر فلقي رجلا لم يشهد العصر، فقال عمر: ما حبسك عن صلاة العصر؟ فذكر له الرجل عذرا، فقال عمر: طَفَفت.**

قال يحيى: قال مالك: ويقال لكل شيء وفاء وتطفيف.

التطفيف النقص، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، والمراد بقوله: ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أي: ينقصونهم في حقوقهم في الوزن، وهذا الأثر عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فيه فوائد:

أولها: وهو المقصود أن هذا الخليفة الراشد وصف من فاتته الصلاة مع الجماعة بكونه قد طَفَّف، والتطفيف النقص، وهذا يدل على أنه قد خسر شيئا كثيرا؛ لأنه لا يقال لكل نقص، ولا يعتنى بكل نقص ما لم يكن النقص مؤثرا، وكان عمر -رضي الله عنه- على هدي السنة من تعظيم أمر الصلاة، وتقدم معنا كتابه إلى أمرائه وولاته: «إن أهم أمركم عندي الصلاة» فالرجل ذكر له عذرا، ومع أنه ذكر له العذر بين له أنه قد طَفَّف، وهذا يدل على عظم أمر الصلاة عند الصحابة -رضوان الله عليهم-، وبالأخص عند هذا الخليفة الراشد، وأسعد الناس في الصلاة من حافظ عليها في الجماعة، إلا أن يكون له عذر شرعي في تركها والتخلف عنها، فالصلاة مع الجماعة فيها فضائل عظيمة ومنازل جليلة كريمة، وهي من أعظم الأسباب التي تُثبِّت العبد على الهداية، والاستقامة على طاعة الله؛ لأن أولها وبدايتها أن العبد تتحاتّ عنه ذنوبه، وتمحى عنه خطاياه، وترفع له درجته بمجرد الذهاب إليها «**ألا أنبئكم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»، فجعل المضي إليها فقط يوجب غفران الذنوب ورفعة الدرجة «**يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات**»، فكل من حرص على أن يصلي الصلاة مع الجماعة، فإنه تعاطى السبب العظيم الذي تُمحى به خطاياه، وترفع به درجته، ومن اشتكى ذنوبه وعيوبه وإساءته، فَأْمُره بالصلاة مع الجماعة وحثَّه عليها وحضَّه عليها، تتحاتّ عنه ذنوبه وترفع له درجته، ثم جعل النبي -ﷺ- انتظارها رباطا في

سبيل الله، بل جاء بالصيغة التي تدل على أنه في أعلى مقامات الرباط، فقال: «**فذلكم الرباط**» وهو ينتظر الصلاة بعد الصلاة، الصلاة مع الجماعة أمرها عظيم، فلما رأى الرجل لم يصل مع الجماعة قال له: طففت، وهذا يدل على أنه قد خسر الشيء الكثير، لكن خسارة الدِّين ليست كخسارة الدنيا.

وكـــــل كســــــر فــــــالله يجـــــبره		ومــــا لكســــر قنـــاة الـــدين جـــبران

والله يجبر كسر الدين والدنيا، لكن كسر قناة الدين أي: الشيء الذي في دين الإنسان لما ينكسر مصيبته عظيمة، ولذلك كانوا يسترجعون، وكان الرجل إذا فاتته الجماعة عزَّوه كأنما يعزى في عزيز فقده.

وفي سؤال عمر -رضي الله عنه- للرجل عن تأخره فيه دليل على أنه يشرع لولي الأمر أن يتفقد أحوال الناس أن يتفقد أمور رعيته خاصة في الدين الذي هو أساس الصلاح والفلاح، وحصول الخير للعبد في دينه ودنياه وآخرته، ولما أجاب الرجل بالعذر فذكر له عذرا أي: ذكر له عذر أوجب له تأخره عن الجماعة، يحتمل أن يكون هذا العذر مما يمكن تلافيه، فعاتبه عمر -رضي الله عنه-، ويحتمل أنه مما لا يمكن تلافيه، فأشار إليه أن مع هذا العذر فقد طفف، فما بالك بمن لا عذر له، فهو يُعلِّم بقية الناس ألا يتساهلوا في الجماعة، وألا يتساهلوا في شهودها وحضورها.

٢٣ – قال –رحمه الله–: **وحدثني عن مالك عن يحيى بن سعيد: أنه كان يقول: إن المصلي ليصلي الصلاة وما فاته وقتها، ولما فاته من وقتها أعظم، أو أفضل من أهله وماله.**

هذا الأثر عن يحيى بن سعيد الأنصاري –رحمه الله– يدل على عناية السلف – رحمهم الله– كما ذكرنا بمواقيت الصلاة، والإمام يحيى اختلف في عبارته هذه حتى عتِب عليه بعض العلماء والأئمة، ووجه معاتبتهم أنهم حملوا الحديث على فوات وقت الصلاة، ويحيى بن سعيد –رحمه الله– جعل الفوات لجزء الصلاة، أو بعض وقت الصلاة خير من الأهل والمال، فَعُتب عليه في هذا، والواقع كما يقول بعض الشراح أورده احتمالا يصلح نصرة لقول يحيى، في الحقيقة قول يحيى لا يشكل على الحديث؛ لأن الخيرية خير له من أهله وماله، ليست كقضية كأنما وتر أهله وماله، هذا شيء وهذا شيء، ولذلك الخير بمعنى الأفضل أنه أفضل أي: أنه فاته من الخير بحيث لو قورن مع خير الأهل والمال لكان الفائت من خير الوقت أعظم من خيرية الأهل والمال، و الدنيا، ولا يمكن أن تتساوى الدنيا والدين «**لموضع سوط أحدكم في الجنة خير له من الدنيا وما فيها**» هذا موضع سوطه، فكيف بالتسبيح والتحميد في الصلاة الذي يكون به غراس الجنة الذي هو أعظم من موضع السوط، وإذا كان التسبيح والتحميد جزء الصلاة، فكيف بوقتها الذي عليه المعول، فإذن فهو يحيى رحمه الله يقصد أمرا آخر من جهة المفاضلة في الخيرية، وأما عِظَم المصيبة الوارد في الحديث هذا مُتعلق بجانب آخر، وعليه فالذي يظهر من قول يحيى ابن سعيد قوي ومعتبر، خاصة إذا نظر من جهة المفاضلة في الخيرية أي: أن ما فاته من الخير لو قرن بالأهل والمال فإنه أعظم من الأهل والمال، كأن الإمام يحيى –رحمه الله– نظر إلى أن أكثر ما يشغل الناس عن وقت الصلاة هو الأهل والمال ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾، فهي تشغل عن الصلاة، فنبه هذا الإمام الجليل إلى هذا المعنى، وله أصل في السنة كما ذكرنا من حديث الدارقطني، ومرسل طلق في المصنف يشهد لهذا المعنى، وعلى كل حال لا معارضة بين قول يحيى وبين الحديث، ولا يعتب على يحيى؛ لأنه فُهم منه أنه قال في فوات جزء الوقت ما لا يقال في فوات الوقت كله، فإنه معنى صحيح أن الإنسان إذا فاته جزء من وقت الصلاة التي يكون إيقاعها في أول الوقت

أفضل لو فاته جزء من هذا الوقت المفضل، فإنه خير له من الأهل والمال والولد، بل خير له من الدنيا وما فيها، لعظم ما جعل الله ﷻ في الوقت من الأجر والثواب.

قال يحيى-رحمه الله-: قال مالك: من أدرك الوقت وهو في سفر فأخر الصلاة ساهيا، أو ناسيا حتى قدم على أهله وهو في الوقت، فليصل صلاة المقيم، وإن كان قد قدم وقد ذهب الوقت، فليصل صلاة المسافر؛ لأنه إنما يقضي مثل الذي كان عليه.

قال مالك: وهذا الأمر هو الذي أدركت عليه الناس وأهل العلم ببلدنا.

وقال مالك: الشفق الحمرة التي في المغرب، فإذا ذهبت الحمرة فقد وجبت صلاة العشاء، وخرجت من وقت المغرب.

أما بالنسبة للمسألة الأولى من نسي الصلاة وهو في سفر، أو سهى عنها حتى أصبح مقيما، صورة المسألة: أن يكون الإنسان في سفر راجعا إلى أهله قادما على أهله وعلى بلده، فتحضره صلاة الظهر، ثم يؤخرها أو يسهى عنها، أو يريد أن يكسب الوقت فيمشي ويسرع، فلا يخلو من حالتين: إما أن يقدم على أهله يكون قدومه ولا يزال وقت الظهر باقيا، وإما أن ينسى ويسهى حتى يخرج وقت الصلاة ويدخل المدينة، أو يدخل بلدته بعد خروج وقت الصلاة، هذا كله في الصلاة التي تقصر، وهي صلاة الظهر والعصر والعشاء، وأما الصلاة التي لا تقصر كالفجر والمغرب، فلا إشكال فيها تصلى في الحضر كما تصلى في السفر بدون قصر، هذه الصلاة التي تقصر هي التي فيها إشكال.

أولا: إذا قدم إلى أهله ونزل بلده، ولا يزال وقت الصلاة باقيا، فلا إشكال أنه يصلي صلاة الحضر أي: يتم الصلاة، وهذا لا إشكال فيه؛ لأنه حينما دخل البلدة توجه عليه الخطاب بأربع ركعات، إنما توجه عليه الخطاب بركعتين في حال السفر، لكن إذا بقي وقت للصلاة ودخل المدينة، وهذا الوقت لا يزال باقيا، فإنه يتوجه عليه الخطاب بأربع ركعات، ولم يتوجه عليه بركعتين.

وبناءا على هذا يرد السؤال ما هو الفيصل بين السفر والإقامة؟ الفيصل بآخر البنيان آخر بنيان المدينة هو الذي يفصل بين السفر وبين الحضر، ومنقطع البنيان المراد به البنيان المتصل يعني يتصل البنيان حتى يبلغ كيلوين ثلاثة أربعة من منتصف المدينة، فإذا وجد بعض البناء مقطعا هذا لا عبرة به، المراد بالبنيان المتصل والأحياء المتصلة، أما

إذا وجدت مساكن أو مزارع متفرقة في آخر العمران هذه لا تؤثر، فإذا وصل إلى هذا الحد، ولا يزال وقت الصلاة باقيا، ودخل المدينة، فقد وجبت عليه أربعا.

وأما إذا كان قدومه إلى المدينة ورجوعه إلى أهله وقد خرج الوقت، فحينئذ يرد السؤال هل نقول: العبرة بوقت الأداء؟ فحينئذ يقضي ما فاته، وقد فاتته سفرية فيقضيها سفرية.

أم نقول العبرة بالقضاء لأنه أصبح مقيما وفرط فيها مسافرا؟ فحينئذ يقضيها أربعا، أو على الأصل الذي يمشي عليه بعض العلماء أن الشك في الرخص يوجب الرجوع إلى الأصل.

الأصل أنه يصلي أربع ركعات وشككنا في الرخصة من كونها تسقط عنه الركعتين أو لا تسقط، فوجب الرجوع إلى الأصل وهو مطالبته بالإتمام، هذا على القول الذي يقول: إن الأصل في الصلاة الرباعية أنها أربع ركعات، وهناك قول يقول: إن الأصل في الرباعية ركعتان لقول عائشة -رضي الله عنها-: «**فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، فأقرت في السفر وزيدت في الحضر**»، ولكن الذي يقول: على أن الأصل أربع ركعات يبني على الأصل من جهة أن الإنسان الأصل فيه أنه مقيم، ورخصة السفر مشكوك في تأثيرها في القصر، فهو راجع إلى أصل الرخصة وليس إلى قضية العدد عدد الصلوات هل الأصل فيها ركعتين أو أربع؟ لأن الأصل في الإنسان أنه مقيم، هذا الأصل، والسفر طارئ، ولذلك إذا شككنا في كونه مسافرا، أو مقيما بنينا على كونه مقيما حتى نستيقن أنه مسافر، ونعطيه رخصة السفر، فلما كان هذا الشخص الأصل فيه الإقامة، ثم سافر، ثم رجع مقيما، فهو الوقت الذي وجبت عليه فيه الصلاة، صحيح أنه وقت سفر، لكنه أصبح الآن مقيما، فشككنا في رخصة السفر في تأثيرها، وقالوا: الشك في الرخصة يوجب الرجوع إلى الأصل، وهذا طردو منها مسألة: إذا سافر وقد مسح مسح مقيم هل يتم بمسح المقيم يوما وليلة، أو يمسح مسح المسافر يزيد يومين؟ وإذا كان مسافرا له أن يمسح ثلاثة أيام، ثم أقام قبل انتهاء ثلاثة أيام هل يتم مسح مقيم أو مسافر؟ وسيأتينا إن شاء الله في المسح على الخفين.

الحقيقة القول بأنه يصلي ركعتين كما هو مذهب الإمام مالك، وطائفة من أهل

العلم -رحمهم الله- هو من حيث الأصل أقوى، والقاعدة أن القضاء يحكي الأداء، وأن المسلم مطالب بقضاء ما فاته، والذي فاتته ركعتان فيقضي ركعتين، ولكن لعظم أمر الصلاة الأحوط أن يصليها أربعا، وكثيرا ما نفتي به لوجود الشك في الرخصة، لكن من حيث القوة والأصل لاشك أن قضاءه للسفرية إذا تذكرها حضرا أقوى أن يقضيها على حال السفر، وهكذا إذا كان تذكر حضرية وهو مسافر فإنه يصليها أربعا؛ لأن القضاء يحكي الأداء.

بالنسبة لقوله قال مالك وعلى هذا «وإن كان قدم وقد ذهب الوقت فليصلي صلاة المسافر» لأنه إنما يقضي مثل الذي عليه.

قوله: «**إنما يقضي مثل الذي عليه**» هو معنى القاعدة القضاء يحكي الأداء.

«قال مالك: **وهذا الأمر هو الذي أدركت عليه الناس وأهل العلم ببلدنا**» وهذا الأمر الذي أدركت عليه الناس وأهل العلم ببلدنا أدرك -رحمه الله- ما لا يقل عن سبعين من أئمة العلم والفتوى في مدينة النبي -ﷺ- من أئمة التابعين الذين أدركوا أضعاف عددهم من الصحابة، فهو لا يقول على هذا أدركت الناس، وأهل العلم ببلدنا إلا وهو يعني هؤلاء، وهم أهل العلم وأهل الفتوى، وليس مراده بأهل المدينة الذين أدركهم عوام الناس، أو عوام أهل المدينة، إنما مراده أهل العلم الذين هم أهل الفتوى، وأهل الفقه الذين يرجع إليهم في المسائل الشرعية، ولذلك قيل له ذات يوم: من حدثك بهذا؟ قال: والله ما جالست سفيها يوما من الأيام، كان -رحمه الله- شديدا في أمر الدين، وكان لا يأخذ العلم إلا من أهله -رحمه الله برحمته الواسعة-، وقيل: قال عنه أئمة الحديث وأئمة الرجال: ما أشد مالك في الرجال، وكان إذا وجدوه أخذ عن الرجل وروى عن الرجل اعتبروا فقط روايته وأخذه عنه حجة في توثيق الرجل، حتى لما سئل عن الرجل قال: أوجدته في كتابي، من شدته في الرجال، فهو لا ينسب العلم إلا لمن هو أهل للعلم، ولا يحتج بالعلم إلا بمن هو أهل في الاحتجاج في العلم، وهؤلاء السبعون هم أئمة التابعين، لأن الذين أخذ عنهم ليس بينهم وبين أصحاب رسول الله -ﷺ- ليس بينه وبين أصحاب رسول الله -ﷺ- إلا رجل واحد وهو التابعي، هؤلاء السبعون أدركوا أضعاف عددهم من الصحابة، ولذلك لا يجتمع هؤلاء غالبا إلا وعندهم أصل، وذكر

شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– أن الشعائر الظاهرة كالأذان، الأمور الظاهرة في العبادات عمل أهل المدينة الذي يحكيه الإمام مالك حجة بإجماع عامة المسلمين؛ لأنه إلى عهد مالك يقول: لم تدخل للمدينة بدعة، فلا يمكن أن يجمع هذا الكم من العلماء ويتفقوا على شيء وهو ليس له أصل، وإجماع أهل المدينة وأهلها حجة سيأتي تفصيلهإن شاء الله، لكن هذه الصيغة يشير بها في بعض الأحيان تلامس الإجماع، وبعض الأحيان يريد بها التأكيد على أن هذا الأمر ليس فيه اختلاف بين فقهاء المدينة، وأئمة العلم في المدينة، ويعتبر موطأ الإمام مالك –رحمه الله– مرجعا في حكاية مذهب أهل المدينة؛ لأنه من المميزات في هذا الكتاب عن غيره من الكتب الحديث أنه يورد الأحاديث، ويورد الآثار، ويورد مذاهب أهل العلم خاصة في المدينة في زمانه –رحمه الله برحمته الواسعة–.

وقال مالك: الشفق الحمرة التي في المغرب، فإذا ذهبت الحمرة، فقد وجبت صلاة العشاء، وخرجت من وقت المغرب.

الشفق مغيبه وذهابه، وهو بداية وقت صلاة العشاء ونهاية وقت صلاة المغرب، هذا محل إجماع، كلهم متفقون كما تقدم معنا في المواقيت أنه إذا غاب الشفق فقد انتهى وقت المغرب ودخل وقت العشاء، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**والمغرب ما لم يغب الشفق**»، فدل على أنه إذا غاب الشفق انتهى وقت المغرب وابتدأ وقت العشاء، لكن الخلاف ما هو المراد بقوله–ﷺ–: «**ما لم يغب الشفق**» هل هو الشفق الأبيض، أو الشفق الأحمر؟ والشفق الأحمر يسبق الأبيض في الترتيب، فيغيب الشفق الأحمر أولا، ثم يغيب بعده الشفق الأبيض، وجمهور العلماء –رحمهم الله– على أن الشفق هو الأحمر، وذهب الإمام أبو حنيفة –رحمه الله– إلى أن الشفق هو الأبيض، وقد تقدمت معنا هذه المسألة، وذكرنا الأدلة والقول الراجح، وأن العبرة بالشفق الأحمر، وهو قول أئمة اللغة كالخليل وغيره، وذكرنا بعض الشواهد منها قول الشاعر:

رميتهـــا بنظـــرة مـــن ذي علـــق قـــد أثـــرت في خـــدها لـــون الشـــفق

فقوله: قد أثرت في خدها لون الشفق فلم يقل الشفق لم يقيده، وإنما أطلقه، فدل على أن العرب إذا أطلقت الشفق تريد به الشفق الأحمر؛ لأن الخد إذا غلبه الحياء وحصل فيه الحياء يحمر ولا يبيض، ومن هنا قال: قد أثرت في خدها لون الشفق أي:

أصبح أحمر، وهذا يدل على أن العرب إذا أطلقت الشفق فمرادهم به الأحمر، والنبي -ﷺ- تكلم بلسان العرب ولغتهم.

هنا الإمام مالك يشير إلى أن الشفق هو الأحمر، وهذا لما ذكرناه من خلاف هل العبرة بالشفق الأبيض، أو الشفق الأحمر؟ وبين الشفقين ما يقارب من ثلاثة درجات فلكية بمعنى أن الشفق الأبيض يجلس بعد الأحمر بما لا يزيد عن الربع ساعة، وما بين عشرة دقائق إلى اثنتي عشرة دقيقة تقريبا.

لو غابت الشمس مثلا على الساعة الثانية عشر غروبي - ولا الغروب ما عاد موجود - الغروبي ميزته أن المغيب ما يختلف فيه مغيب الشمس على الساعة الثانية عشر تماما، وصلاة العشاء طبعا إذا غابت الشمس يعقبها الشفق، ويبقى من ساعة إلى ساعة وزيادة، ما بين ساعة وأقل من ساعة على حسب ليالي الصيف والشتاء، إذا قلنا: ساعة مثلا بعد هذا يبدأ وقت الشفق الأبيض، يأخذ له ما بين اثنتي عشرة دقيقة ما بين عشر إلى اثنتي عشرة دقيقة هذا القدر هو محل الخلاف بين العلماء -رحمهم الله-، هل تصلى فيه صلاة المغرب قضاء أو أداء؟ على مذهب الجمهور إن صلى في هذا الوقت وهو الشفق الأبيض فهو قضاء، وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة فهو أداء، وإذا كان في حدود هذا القدر غالبا إذا غابت الشمس ما بين ساعة من ساعة وعشر إلى ساعة واثنتي عشرة دقيقة إلى خمسة عشرة دقيقة يدخل وقت العشاء قطعا.

٢٤ – قال –رحمه الله–: «**وحدثني عن مالك عن نافع: أن عبد الله بن عمر أغمي عليه فذهب عقله، فلم يقض الصلاة**».

الإغماء من العوارض التي تؤثر في إدراك الإنسان وحركته، ويختلف عن النوم أن النائم إذا أيقظته يستيقظ، والمغمى عليه إذا أيقظته قد لا يستيقظ، وأشار الأثر هذا إلى أن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– لا يرى قضاء الصلاة إذا أفاق المغمى عليه بعد خروج الوقت، وهذا هو مذهب المالكية والحنابلة وطائفة من أهل العلم –رحمة الله عليهم– أنه لا يلزمه القضاء أن المغمى عليه، مذهب المالكية والشافعية وبعض أصحاب الإمام أحمد –رحمة الله على الجميع–، وذهب الحنابلة والحنفية إلى قضاء على تفصيل عندهم في عدد الصلوات وكيفية قضائها، أما من حيث الأصل فإنهم يرون أنه يقضي، ويرون أن الإغماء لا يوجب إسقاط الصلاة عن المكلف إذا أفاق بعد خروج الوقت، كلهم متفقون على أنه إذا أفاق في الوقت فلا إشكال ، لكن يرد الخلاف هل العبرة بالركعة، أو العبرة بتكبيرة الإحرام على التفصيل الذي ذكرناه في القدر الذي تدرك به الصلاة؟، وهل يشترط أن يتطهر يحتسب وقت طهارته به أم يحتسب فقط وقت فعل الصلاة؟ على خلاف أيضا حتى عند المالكية –رحمهم الله– من حيث الأصل أن المغمى عليه لا يجب عليه القضاء، والسبب في هذا أن الإغماء لا يكون باختيار الإنسان، غالبا الإغماء لا يكون باختياره، ومن هنا إذا كان الإغماء وزوال العقل، أو زوال العقل باختيار الإنسان كشرب المسكر والعياذ بالله، أو المخدر للعمليات الجراحية فإنه لا يوجب سقوط القضاء، ويلزمه أن يقضي، فيفرق بينه وبين المغمى عليه من هذا الوجه، فلا يأخذ حكم المغمى عليه، ولا يأخذ حكم المجنون، ومذهب عبد الله بن عمر أرجح وأقوى، والذين قالوا بوجوب القضاء استدلوا بحديث ضعيف عند الدارقطني، ولو صح لكان فيصلا في النزاع، وأيضا استدلوا ببعض الآثار عن بعض الصحابة –رضوان الله عليهم–، فإن صحت أصبح الصحابة عندنا مختلفين بعضهم يرى القضاء، وبعضهم لا يرى القضاء، وإذا نُظر إلى وجود العذر وشبهيته بالإسقاط خاصة وأنه أقرب إلى الجنون، ويكون في حكم الجنون كان مذهب من يرى الإسقاط أقوى.

«**قال مالك رحمه الله: وذلك فيما نرى والله أعلم أن الوقت قد ذهب فأما من أفاق في الوقت فإنه يصلي**».

من آفاق في الوقت لا إشكال أنه يصلي وتلزمه الصلاة على الأصل؛ لأنه إذا كان مفيقا في جزء من الوقت فقد توجه عليه الخطاب والأهلية متوفرة، فيلزمه فعل الصلاة، ولا يُسقط عنه فعل الصلاة.

قال رحمه الله: «**باب النوم عن الصلاة**».

«باب النوم عن الصلاة» النوم عن الصلاة متعلق بمسألة المواقيت له صلة بالمواقيت؛ لأن مما يُفوِّت وقت الصلاة النوم، قد يفوت الوقت كاملا، وقد يفوت وقت الاختيار، وقد يفوت وقت الفضيلة، وعلى كل حال فهو من مسائل المواقيت.

«باب النوم عن الصلاة» أي: في هذا الموضع سأذكر لك جملة من الأحاديث الواردة عن النبي -ﷺ- في حكم من نام عن الصلاة.

٢٥ – قال -رحمه الله-: «**حدثني يحيى عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب: أن رسول الله -ﷺ- حين قفل من خيبر أسرى حتى إذا كان من آخر الليل عرس، وقال لبلال: اكلأ لنا الصبح، ونام رسول الله -ﷺ- وأصحابه، وكلأ بلال ما قدر له، ثم استند إلى راحلته وهو مقابل الفجر، فغلبته عيناه، فلم يستيقظ رسول الله -ﷺ- ولا بلال- ولا أحد من الركب حتى ضربتهم الشمس، ففزع رسول الله -ﷺ-، فقال بلال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، فقال رسول الله -ﷺ-: اقتادوا، فبعثوا رواحلهم واقتادوا شيئا، ثم أمر رسول الله -ﷺ-بلالا فأقام الصلاة، فصلى بهم رسول الله -ﷺ- الصبح، ثم قال حين قضى الصلاة: من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٰ﴾**».

«**عن سعيد بن المسيب: أن رسول الله -ﷺ- حين قفل من خيبر أسرى**» هذا الحديث أصله في الصحيح عن النبي **-ﷺ-** أنه أسرى بأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم، ووقعت هذه الحادثة أي: النوم عن الصلاة بالنبي **-ﷺ-** في السفر، قيل في ثلاثة مواضع: منها: رجوعه من خيبر، ومنها: بين المدينة ومكة، وموضع ثالث قالوا: كان معه قرابة ما بين السبعة إلى عشرة من أصحابه -رضي الله عنهم وأرضاهم- في قصته مع أبي قتادة -رضي الله عنه وأرضاه-.

قوله: «أسرى» السري هو المشي في الليل قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾، والمشي في الليل أرفق بالدابة وأرفق بالمسافر، والنبي **-ﷺ-** مشى في هذه الغزوة ليلا لاحتمالين: الاحتمال الأول: أنه كان عليه الصلاة والسلام مشفقا على أصحابه

من العدو، وهذا اختاره الإمام أبو محمد الأصيلي -رحمه الله-، وفسر فيه فزع النبي -ﷺ- حينما استيقظ أنه كان مشفقا على أصحابه، وعادة الجيش أنه إذا سرى في الليل أمن من العدو؛ لأن السري بالليل يكسبه البعد أكثر والتواري، وإن كان الذهاب من طرق متعددة يمكنه أن يسلم من كيد العدو، ومن لحوقه به، فقال: إن النبي -ﷺ- كان في أسفاره أشد الناس رحمة، وشفقة على من معه بمن معه صلوات الله وسلامه عليه حتى كان إذا ساروا في السفر يسير في آخر الركب صلوات الله وسلامه عليه، يسير مسير الضعيف صلوات الله وسلامه عليه، فكان يشفق على أصحابه، فقالوا: مشى في الليل لهذا الأمر كونه يخاف عليهم من العدو، وقيل: إنه أسرى من الليل على العادة في الأسفار من قلة المؤونة، وخفتها على الناس، وعلى الدواب والرواحل، والأمر محتمل يعني كلا الأمرين؛ لأنه كان قافلا من غزوة صلوات الله وسلامه عليه أسرى بأصحابه.

فيه دليل على مشروعية السير ليلا في السفر، وقد جاء الترغيب فيه في قوله عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى به في النهار**» اختلف العلماء في قوله: «**إن الأرض تطوى بالليل**» قال بعض العلماء: تطوى حقيقة أي: إن الله يطويها للمسافر، وهذا ليس بمعجز؛ لأن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن مد الأرض قادر على أن يطويها، وإذا قال النبي -ﷺ- وأخبر وهو الصادق المصدوق عن ربه أنها تطوى، فهي تطوى هذا على الحقيقة، وبناءا على هذا يكون الإنسان إذا سار مسيرا، فإن مسيره بالليل يطوى أكثر مما لو سار نهارا، وقال بعض العلماء: إن قوله: «**تطوى**» المراد به المجاز، وهو التجوز في العبارة لمعان موجودة، بمعنى أنه إذا سار في الليل فإن وهج الشمس وشدة الحر، ومؤونة النهار لا تكون موجودة في الليل، فالدابة تسرع أكثر، وحينئذ بدل أن يمشي في النهار العشرة سيمشي في الليل خمسة عشر، وقد يمشي في الليل العشرين على حسب جده وجد دابته، فإذا نظر إلى هذا المعنى أصبح كأن الأرض طويت له، وكلا المعنيين صحيح، ونحن لا نشك أن الله قادر على أن يطوي للمسافر ويطوي للمقيم، الله لا يعجزه شيء ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ والأصل حمل اللفظ على الحقيقة، ومن المجرب أن السير في الليل يختلف كثيرا عن سير النهار، ومسيره عليه الصلاة والسلام بالليل فيه

دليل على مشروعية السير ليلا، وقلنا: إنه مرغب فيه؛ لأن النبي -ﷺ- رغب في ذلك بقوله: «**عليكم بالدلجة**»، والدلجة ظلمة الليل، ولاشك أن هذا يدل على أنه أرفق وأيسر، وأنه إذا كان فيه رفق بالسائر وبالدابة التي يسير عليها، فلاشك أنه سيحصل له ذلك الخير، والعجيب أن هذا الأمر لا يقتصر على الدواب، بل حتى على السيارات الموجودة في زماننا، والقاطرات والطائرات، ومن المشاهد والمجرب حتى إن الرجل يجد الفرق شاسعا بين المسير نهارا والمسير ليلا، وهذه الأمة لا تحتاج إلى أحد يعلمها بعد أن علمها ربها، وعلمها رسول الله -ﷺ- مبلغا عن الله -جل جلاله- كل شيء تعلموه حتى مسيرها في السفر علمت، وعلمت من شدة الحر ومن شدة البرد أنها من فيح جهنم، وأنها نفس من جهنم، هذه الأمة التي أخذت من كتاب ربها، وسنة نبيها عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ما هو بمثل كان هنا ديناصور من ألف مليون سنة، هذه علوم حقيقة، ولا أصدق من الله قيلا ما فيها الضرب من الخيالات والأوهام، هذا العلم النافع ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ولذلك من ضياع هذه الأمة أن تحس أنها تحتاج إلى أحد، ما بقي شيء لا من علوم الشرع، ولا من علوم الطبع، ولا من أخبار السماوات ولا من أخبار الأرض إذا جاءتك بنص الكتاب والسنة، وجدتها بينة واضحة ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾، وهذا البيان بيان أحكم الحاكمين الذي ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ سبحانه، ما يشعر المسلم أنه يحتاج إلى أحد، ولذلك من أعظم ما يكون بلاء على الأمة انهزام المسلم، وشعوره بالنقص، وصدق عليه الصلاة والسلام حينما يقول: «**من أعطي القرآن، فظن أن غيره قد أعطي خيرا منه، فقد ازدرى نعمة الله ﷻ عليه**» نعمة الله بالقرآن؛ لأن القرآن فيه هذه الحكم والأحكام العظيمة، وبين النبي -ﷺ- فضيلة السير في الليل، واجتمعت السنة القولية والفعلية على تفضيل السير ليلا، ولذلك إذا أدلج الإنسان، وسرى بالليل يطلب السنة، فإنه يثاب إذا قصد بهذا التأسي بالنبي -ﷺ- وتصديق الوحي والعمل به فإنه يثاب.

«**حتى إذا كان من آخر الليل عرس**» حتى إذا كان من آخر الليل عرس التعريس في آخر الليل ولا يقال لغيره، عرس إذا نزل آخر الليل، وقد جاء في الحديث الآخر أنه لما نزلوا قال حذيفة: «**ولم يكن أجمل منها**» الإنسان لما ينزل وهو بشدة التعب خاصة

في السفر وفي البرد، فإذا نزل في آخر الليل في ليالي الصيف، ويكون نسمات السحر قبل الفجر، أو في الثلث الأخير لا أجمل منها.

وما ذنب أعرابية رمت بها الأقدار من حيث لم تك ظنت
تمنت أحاليب الرعاة وخيمةً بنجد فلم يقض لها ما تمنت
إذا ذكرت ماء العذيب وطيبه وبرد حصاه آخر الليل أنت
لها أنَّة عند العشاء وأنَّة سُحَيْرا ولولا أنَّتاها لجُنَّت

فهذا معروف يعني نزل بهم النبي -ﷺ- في آخر الليل، وهي من أحسن الرجعات وأجملها؛ لأنها تأتي بعد تعب وعناء، ويكون الجو غالبا في أحسن أحواله خاصة في ليالي الصيف، أما في ليالي البرد الله يستر، وعلى كل حال ورد، قال: «وقعنا وقعة لا أجمل منها».

يقول: «**لما نزلوا وأرادوا أن يناموا**» لأنهم محتاجون للنوم، والبرد من أجمل ما يكون بخلاف ما إذا نام في أول ليالي الصيف؛ لأنه ينتابه الحر فيقلقه ويزعجه حتى ينام بصعوبة، وربما لا ينام إلا بعد منتصف الليل، وهذا معروف، ولو يعلم الناس نعمة الله -وَجَلَّ- عليهم بهذه المكيفات لخر العبد ساجدا يمكن إلى قيام الساعة، لو يعلم كيف كانت الناس تعيش في شدة الحر، والقر لأدرك نعمة الله -وَجَلَّ- عليه، فنزلوا في هذا الوقت وهو من أجمل الأوقات، واختاره عليه الصلاة والسلام.

يقولون سنة النبي -ﷺ-وهديه هذا ذكره الإمام ابن القيم، وله كلام نفيس -رحمه الله- وكلامه نفيس في الحقيقة في الهدي لما تكلم على هدي النبي -ﷺ- الجبلي الطبعي أن الله اختار له أكمل ما يكون من الصفات حتى كان منامه، ووقت نومه، وصفة نومه، والحالة التي ينام عليها أكمل الحالات، قالوا حتى في السفر لما كان يمشي، ومتى كان ينزل صلوات الله وسلامه عليه، وانظر دقة الأمر لأنهم لو سرى بهم إلى الصبح ربما صلوا الصبح وهم نائمون، ولكن اختار عليه الصلاة والسلام لهم وقتا في ثلث الليل الآخر أن يناموا وأن يضطجعوا حتى يتقووا على العبادة وعلى الصلاة.

«**فقال لبلال: اكلأ لنا الصبح**» وقال لبلال: اكلأ، وفي الروية الأخرى: «**ارقب لنا الفجر**» يعني راقب لنا الفجر، اكلأ لنا الصبح هذا فيه دليل على مشروعية توصية

الإنسان لغيره أن يوقظه للصلاة، ويستوي في ذلك نوم الليل، ونوم النهار إذا خشي ألا يستيقظ، وفيه دليل على مشروعية وجواز النوم في الليل متأخرا إذا غلب على ظنه أنه يقوم للصلاة، وفيه دليل على أن الواحد يكفي، وأنه لا يشترط أكثر من واحد، وقال لبلال: اكلأ لنا الصبح، فدل على أنه لا حرج أن يسهر الإنسان مادام أنه يغلب على ظنه أنه يوقظ للصلاة، في حكم ذلك الآلات المنبهة الموجودة في زماننا، فلو تأخر في نومه وغلب على ظنه أن هذه الآلة تساعده وتعينه بإذن الله على القيام جاز له أن يؤخر وأن ينام، ثم ينظر أنه إذا كان غالب أحواله أن يقوم ويستجيب لها إذا أيقظته فالحمد لله، أما إذا كان غالب حاله تكسير الساعات والنوم فهذا أبدا يحتاج إلى شخص يقف عليه، ولا يكفيه، ومنهم من لا يكفيه شخص، بل لابد من اثنين ومنهم من يثلث ومنهم من يربع، فعلى كل حال من حيث السنة دلت على مشروعية جواز تأخر الإنسان بالسهر ونومه متأخرا من الليل، ولو كان قبل الفجر بيسير مادام أن هناك من يوقظه، أو عنده من يستعين به بعد الله على إيقاظه لصلاة الفجر، هذا أصل عند أهل العلم -رحمهم الله-.

«**ونام رسول الله -ﷺ- وأصحابه وكلأ بلال ما قدر له**» فيه دليل على مشروعية إسناد الأمر إلى الواحد، أو إلى الجماعة من الركب، ولو كان هذا الأمر فيه عناء ومشقة على هذا الواحد، يقال: احتمل الضرر الخاص للمصلحة العامة خاصة إذا علم طيب نفسه بذلك، ومن أسند إليه مثل هذا فأجره عظيم، مثلا: لو سافرت مع جماعة وكنت معروفا يعني عرفت من نفسك أن تقوم الليل، ويمكنك أن تواصل إلى الفجر، ومعك إخوانك قد أجهدهم السفر، ولا يستطيعون أن يواصلوا للفجر، تقول لهم: ناموا وأنا أوقظكم، فيه إجهاد فيه مشقة، لكن النفس تطيب بهذا، لماذا؟ لأنك إن أيقظتهم كان لك أجرهم، وهذا فيه فضل عظيم، صحيح أنه مشقة وعناء لكنك تصيب فضيلة، ومن أعظم الأجر أعظم المعونة إذا كانت المعونة على خير، فكيف إذا كانت على خير الأعمال وأحبها إلى الله وهي الصلاة، وفي هذا دليل على احتمال الضرر الخاص لتحقيق المصلحة العامة.

«**وكلأ بلال ما قدر له**» وكلأ بلال ما قدر له، ورد أنه كان -رضي الله عنه- يصلي

ثم استند إلى راحلته عند قرب الفجر، وفيه دليل على مشروعية قيام الليل في السفر، وأنه لا حرج فيه.

«**ثم استند إلى راحلته وهو مقابل الفجر ثم غلبته عيناه**» ، مقابل للفجر بمعنى أنه إلى جهة المشرق، وإن كان الفجر في الأصل ينفجر ضوءه منتشرا أن الفجر هو الفجر الصادق، وليس الفجر الكاذب، والفجر الصادق هو الذي ينتشر، وراقب – رضي الله عنه وأرضاه– الفجر مستندا إلى راحلته ينتظر بزوغ الفجر، وجاء كما سيأتي في آخر الحديث أن الشيطان ما زال يُهديه حتى نزلت عليه السكينة وغشيته الرحمة، فنام – رضي الله عنه وأرضاه– كما سيبينه النبي –ﷺ– في سبب فوات الصلاة عليهم.

«**واستند إلى راحلته**» فيه دليل على مشروعية الاستناد على الدابة، والاتكاء عليها، والارتفاق بها أنه لا حرج في ذلك، ولا بأس شريطة ألا يكون لطريقة فيها ضرر، أو فيها امتهان وأذية لها.

«**فلم يستيقظ رسول الله –ﷺ– ،ولا بلال، ولا أحد من الرَكْب حتى ضربتهم الشمس**» فلم يستيقظ النبي **–ﷺ–** ولا بلال ولا أحد من أصحابه –رضي الله عليهم أجمعين– حتى طلعت عليهم الشمس.

الحوادث التي قيل وقعت فيها النوم ثلاثة كما ذكرنا: حادثة حصل فيها هذا، وحادثة كان أول من استيقظ أبو بكر، وعمر، وجعل عمر يكبر كما في صحيح مسلم حتى استيقظ رسول الله **–ﷺ–**، وحادثة في هذه الحادثة قيل: إن النبي ﷺ استيقظ فزعا من حر الشمس.

«**ففزع رسول الله –ﷺ–**» ففزع رسول الله **–ﷺ–** فيه وجهان: قيل: إنه فزع من خوف أن يدركه العدو فكان فزعه من الشفقة على أصحابه صلوات الله وسلامه عليه وقيل: فزع لفوات الصلاة وذهاب وقتها؛ لأنه كان ينتظر أن يقوم في الليل، فإذا به يفاجؤ بالنهار، فصار أمرا مفزعا له لما فيه من فوات وقت الصلاة، وهو أمر يفزع ويقلق.

«**فقال بلال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك**» فقال بلال –رضي الله عنه– لما سأله النبي **–ﷺ–** هنا في اختصار في الرواية أن النبي **–ﷺ–** سأله فقال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، الله –ﷻ– يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم

تمت في منامها، فبين أن هذا من الله -ﷻ-: «**أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك**» واعتذر بلال -رضي الله عنه- بهذا أي: أن من طبع الإنسان وخلقته أنه ضعيف ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾، والنبي -ﷺ- كان بالإمكان أن يقوم، وكان بالإمكان ألا يفوته وقت الفجر، ولكن الله لحكمة أوقع هذا الأمر؛ لأن فيه تشريع، ويكون من الله -ﷻ-.

النبي -ﷺ- بشر وهذه البشرية يقع منها ما يقع للبشر، لكنه معصوم أن يدخل على الوحي بسببها شيء، أما إذا كانت تعين على كمال الوحي، وكمال التشريع فهي متسقة مع الأصل، ولذلك لا يلبس هذا الأمر، فيقال: كيف النبي -ﷺ- معصوم وينام عن الصلاة؟ وكيف النبي -ﷺ- معصوم ويُسحر؟ وكيف النبي -ﷺ- معصوم ويخطؤ في تأبير النخل؟ هذه كلها مهاترات، ومن يستمع إلى أصحاب هذه المهاترات يوقعونه في كثير من الأغلوطات، لكنه إذا رد الأمر إلى أهل العلم، ونظر كيف يفسر أهل العلم هذا الأمر، وما هي الحكم العظيمة المبنية على هذا الأمر أدرك أنه خير كثير، ولذلك لما سحر عليه الصلاة والسلام كان من أعظم الآيات على عظمة الله -ﷻ - وأن الإنسان مهما بلغ من الصلاح، وعلو المرتبة، والحفظ من الله -ﷻ- فإنه تحت رحمة الله -ﷻ- حتى نبي الأمة صلوات الله وسلامه عليه، ولذلك من يغلو في النبي -ﷺ- ويبالغ فيه ويعطيه صفات لا تليق إلا بالله -ﷻ- يكذب بمثل هذا، ويقال: انظر كيف سحر عليه الصلاة والسلام، ولتعلم أنه بشر، وأنه تحت رحمة الله -ﷻ- أنه لا يملك لنفسه نفعا، ولاضرا، ولا موتا، ولاحياة ولا نشورا، وأن الله -ﷻ- هو وحده الذي إن شاء أن يبتليه ابتلاه، وإن شاء أن يحفظه حفظه ،وقد حفظه الله -ﷻ-، هذه حكم عظيمة وأسرار جليلة كريمة، ولما سحر عليه الصلاة والسلام أنزل الله -ﷻ- المعوذتين، وجعل الله -ﷻ فيها من الخير ما لا يعلمه إلا هو -ﷻ-، وسار سحره عليه الصلاة والسلام سلوى لكل مصاب، وما من بلاء إلا وقد سبق عليه الصلاة والسلام غيره به بمثله، أو بما هو أعظم، فإذا صار هذا البلاء الذي يتسلط فيه الشيطان على الإنسان، وجاء الإنسان يحتقر نفسه تذكر نبي الأمة -ﷺ-، وتذكر الأحاديث الصحيحة حينما كان عليه الصلاة والسلام يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله صلوات الله وسلامه عليه كما في الصحيح يعلم عندها أن لله حكما عظيمة، وأنه إذا كان عليه الصلاة والسلام ابتلاه

الله بهذا، فمن باب أولى غيره، كذلك إذا نام عن الصلاة، وأخذ يغلو في الدين، ويلوم نفسه ويوبخها ويقرعها تذكر أن هذا الشيء لا يملكه، وأن هذا الشيء فيه عذر من الشرع، وأن عليه أن يبتعد عن التنطع وعن الغلو، وأن النبي -ﷺ- نام عن الصلاة، ولذلك قال بلال: «**أخذ بعيني الذي أخذ بعينك يا رسول الله**»، وبناء على هذا إذا ردت مثل هذه الأحاديث إلى ما ذكره أهل العلم، وإلى ما استنبطوه منه من الحِكم والأسرار تبين جليا أن هذا ليس له مساس بأي شيء من الشرع والوحي لا من قريب ولا من بعيد، وأن كونه عليه الصلاة والسلام يُسحر، لما سحر عليه الصلاة والسلام ما بلغ غير ما أمر بتبليغه، ومع كونه مسحورا ما استطاع الشيطان أن يغلب على لسانه شيئا غير الوحي ما استطاع، وهذا يدل على أنه ما يستطيع الشيطان إذا أذى أن يتجاوز الحد الذي وضعه الله فيه، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح لابن صياد: «**اخسأ عدو الله فإنك لن تعدو قدرك اخسأ عدو الله فإنك لن تعدو قدرك**» هذه حكم عظيمة، وأسرار كريمة يعلمها من يعلمها من أهل العلم والراسخين الذين نبهوا عليها في كتبهم -رحمهم الله برحمته الواسعة- من سلف هذه الأمة والتابعين لهم بإحسان -رحمهم الله برحمته الواسعة- وجزاهم عن أمة محمد -ﷺ- خير الجزاء، فهذا النوم قضية النوم قضية فيها حكم، ولذلك ترتب عليها التشريع في حكم الصلاة الفائتة بالنوم، وأن من نام عن الصلاة، أو نسيها، فليصلها إذا ذكرها، وأن الصلاة إذا نام عنها يقام لها، وأنه إذا نام في موضع وفاتته الصلاة أنه ينتقل من ذلك الموضع إلى غيره... إلى غير ذلك من الأحكام التي ترتبت على هذه الحادثة، فلو لم تقع هذه الحادثة لما علمنا هذه الأحكام، ولا بُينت هذه الأحكام، وهكذا لما سهى عليه الصلاة والسلام وقع منه السهو في صلاته عليه الصلاة والسلام لأجل التشريع، وزاد في الصلاة، ونقص من الصلاة عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة ذي اليدين، كل هذا لأجل حكم عظيمة، وأسرار كريمة بينهما العلماء -رحمهم الله- في شرح هذه الأحاديث.

وينبغي للمسلم ألا يلتفت -خاصة في هذه الأزمنة المتأخرة- إلى ما يقال أو يحكى. إذا جاءك أي شخص قل له: يا أخي هذا الحديث في الصحيحين، الصحيحان

شرحهما أئمة علماء راسخون في العلم ما عندك مشكلة النصف ساعة التي جلست فيها على قناة، أو جلست فيها تقرأ كتاب خذ منها ربع ساعة واقرأ فيها فتح الباري، أو عمدة القاري، وانظر جواب أهل العلم، وكلام أهل العلم، وبدل أن تضيع نفسك وتأخذ من يضيعك ويضعك في المهاترات خذ العلم من أهله، هذا هو جواب الناس، وهو العلاج، أو تحفظ ما قاله أهل العلم وتبينه بالطريقة التي بينوها في شروحهم.

فهذا النوم لا يؤثر في التشريع بشيء، وليس قادحا في عصمة الله -ﷻ- لنبيه عليه الصلاة والسلام، بل كانت منه حكمة عظيمة كما بينا، وترتب عليه من الأحكام الشرعية ما بيناه وسنبينه.

«**فقال رسول الله -ﷺ-: اقتادوا**» فقال عليه الصلاة والسلام: اقتادوا، وفي الصحيح: «**إن هذا المنزل حضرنا فيه الشيطان**» فقد نزل في الوادي، ولما نام عن الصلاة قال: «**إن هذا المنزل حضرنا فيه الشيطان**»، فاقتاد عليه الصلاة والسلام فأمرهم أن يتحولوا من الوادي إلى مكان آخر، فيه فوائد:

الفائدة الأولى: طبعا أول شيء اطلاع الله لنبيه عليه الصلاة والسلام على هذا الأمر من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله علام الغيوب، فمن الذي يعلم أن الشيطان حضر أو لم يحضر، ولذلك قال -ﷺ-: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ أَتَى بِلاَلاً وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَضْجَعَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُهَدِّئُهُ، كَمَا يُهَدَّأُ الصَّبِيُّ حَتَّى نَامَ**» **-رضي الله عنه وأرضاه-**» هذا من أمر الغيب مع أنه عليه الصلاة والسلام كان نائما، لكن الله -ﷻ- أطلعه عليه، وقوله: «**اقتادوا**» سببه كما ذكرنا حضور الشيطان، بني على هذا أن من نام عن الصلاة في موضع فالسنة له ألا يصلي الصلاة في الموضع، فإذا كان مثلا في غرفة، أو في موضع من البستان، أو المزرعة ينتقل إلى موضع آخر يتحول عنه.

الفائدة الثانية: فيه كراهية الطاعة في أماكن الصخب، وأماكن العذاب، والأماكن التي تحضرها الشياطين؛ لأن النبي -ﷺ- امتنع من الصلاة في مكان وصفه بكون الشيطان حضر فيه، فمن باب أولى إذا كان مكان عذاب، ولذلك ثبت في الحديث الصحيح عن النبي -ﷺ- أنه لما مر بديار ثمود غلب دابته وأسرع وطأطأ برأسه صلوات الله وسلامه عليه، وقال: «**لا تمرونها إلا وأنتم باكون، أو متباكون لا يصيبكم الذي**

أصابهم» فأماكن الصخب والعذاب، والأماكن التي تحضرها الشياطين لا خير فيها، ويحرص الإنسان على أن يذكر الله في الأماكن الطيبة، وفعل هذا عليه الصلاة والسلام بالتحول والانتقال من المكان.

الفائدة الثالثة: أن النبي -ﷺ- أمرهم أن يقتادوا فقام الصحابة وركبوا رواحلهم وحركوا دوابهم، ثم تحولوا من موضع إلى موضع آخر، وهذا يستغرق وقتا؛ لأنه مع الجيش هذا يستغرق وقتا إن كان في غزوة خيبر لا يقلون عن خمسمائة، الذين شهدوا هذه الواقعة على الصحيح ألف وخمسمائة كلهم يهبون، ويقتادهم، ويمشون إلى موضع آخر هذا يستغرق وقتا، بُني عليه أن القضاء ليس فوريا بمعنى أنه إذا خرج وقت الصلاة فقضاؤها ليس واجبا أن يكون مباشرة بعد الاستيقاظ مباشرة بدليل أن النبي -ﷺ- أخر الصلاة إلى هذا القدر من الزمان مع أن التحول عن الموضع مستحب وليس بواجب، إذ لو صلى الإنسان في الموضع الذي فاتته الصلاة صلاته صحيحة بالإجماع، فكونه يطلب المستحب، ويفوت عليه هذا الوقت، والقدر من الزمان يدل على أن القضاء ليس على الفور، وبناءا على ذلك لو أنه نام عن صلاة الفجر، واستيقظ جنبا مثلا بعد طلوع الشمس بساعة وكان مرهقا فقال: أريد أن أنام ساعة، أو ساعتين قبل دخول وقت الظهر، ثم اغتسل وأصلي صاغ له على هذا الأصل؛ لأن النبي -ﷺ- لم يبادر بالفور بالقضاء، وظاهر قوله عليه الصلاة والسلام: «**من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها**» يقتضي أنه يجب عليه أن يقوم مباشرة بقضاء الصلاة وأنه لا يؤخرها، ولكن هذا الحديث انتزع منه جواز التأخير عند القضاء، وأنه لا يشترط المبادرة بالقضاء ما لم يدخل وقت الصلاة الثانية كما يضبطه به البعض.

«**فبعثوا رواحلهم واقتادوا شيئا**» هذا يكلف يأخذ من الوقت كما ذكرنا، واقتادوا شيئا استجابة لأمره عليه الصلاة والسلام، اقتادوا شيئا يعني مسافة قطعوا مسافة بقدر ما ابتعدوا بها عن الوادي.

«**ثم أمر رسول الله -ﷺ- بلالا فأقام الصلاة**» هذا الذي عليه كثير من رواة الموطأ أنه أمره فأقام الصلاة، وفي رواية في الصحيح: أمره فأذن، ثم أمره فأقام الصلاة، أمره فأذن فصلى رسول الله -ﷺ- رغيبة الفجر ثم أمره فأقام الصلاة، فعلى رواية التأذين

فيه دليل على مشروعية التأذين للفائتة، وستأتي هذه المسألة إن شاء الله في موضعها، فإنه أذن عليه الصلاة والسلام مع أن صلاة الفجر قد خرج وقتها، وصلى عليه الصلاة والسلام رغيبة الفجر، صلى ركعتين وهما رغيبة الفجر، وكان -ﷺ- لا يدع رغيبة الفجر لا حضرا ولا سفرا، وقد قال -ﷺ-: «**لا تدعوها ولو طلبتكم الخيل**»، وجاء عَنْ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا- قَالَتْ: «**لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدُّ تَعَاهُدًا مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ**» **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ أَخْرَجَهُ البخاري، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ**»فتبين أنه كان لا يتركها في الحضر ولا في السفر، فابتدأ عليه الصلاة والسلام بركعتي الرغيبة، وهذا فيه دليل الرواية الصحيحة التي فيها أنه صلى رغيبة الفجر تقوي جواز التأخير؛ لأنه لو كان القضاء على الفور مباشرة ما صاغ أن ينشغل بالنافلة، ولكنه صلى رغيبة الفجر، والرواية صحيحة: «**ثم أمره فأقام فصلى بالناس الصبح**»، فهذا التأخير وقع في النافلة يعني من أجل أن يصلي النافلة، وقد أجمع العلماء على أن الوقت إذا كان ضيقا، أو من استيقظ ولم يبق إلا بقدر أن يصلي قبل غروب الشمس، و قبل طلوعها لا يجوز له أن يتنفل بالنافلة، ويصبح واجبا مضيقا يصبح الواجب مضيقا عليه، والواجب عليه أن يبادر بالفعل، فكونه عليه الصلاة والسلام كما في الرواية الأخرى: صلى رغيبة الفجر ثم أمره فأقام أقام الصلاة، وهذا فيه دليل على مشروعية أيضا الإقامة للفائتة.

«**فصلى بهم رسول الله -ﷺ- الصبح**» أي قضاءا؛ لأن وقتها قد خرج، وصلى بهم النبي -ﷺ- الصبح، وظاهر قوله: «**صلى بهم -ﷺ- الصبح**» أي: صلاها على الصفة التي من عادته أن يصلي عليها من الجهر فيها، ولم يذكر اختلاف ما قال مثلا: خففها، أو قصر فيها، أو طولها، فهذا يدل على أنه فعل مثل ما كان من عادته أن يفعل.

ينبني على هذا أن قضاء الصلاة يراعى فيه أنه إذا جاء يقضي صلاة يحرص على السنة كما هي، وأنه لم يرد في سنة النبي -ﷺ- تخصيص القضاء أثناء فعله بتخفيف، أو تطويل، وإنما يكون على السنن، فيدل على الأصل الذي ذكرناه أنه يفعل السنة كما لو فعلها في الأداء.

«**ثم قال حين قضى الصلاة: من نسي الصلاة فليصلِّها إذا ذكرها، فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٰ﴾**» من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها اللفظ الآخر: «**من نام عن صلاة أو نسيها**» النوم والنسيان من الأعذار، وهذان العذران يوجبان سقوط الإثم لا سقوط الفعل، ولذلك قد يوجب العذر سقوط الإثم، والفعل والترك، وقد يوجب الأول دون الثاني، ولذلك تجد الإنسان قد يكون معذورا فيفعل محذورا، أو معذورا، فيجب عليه الضمان كما في الفدية في حلق الشعر من الأذى فهو معذور ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖ﴾، وفي الصحيحين من حديث كعب بن عجرة –رضي الله عنه– أن النبي –ﷺ– لما رآه والقمل يتناثر على وجهه قال: **حملت إلى النبي –ﷺ– والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «ما كنت أرى أن يبلغ منك الجهد ما أرى»، ثم قال: «أطعم فرقا في ستة مساكين، أو صم ثلاثة أيام، أو انسك نسيكة»**، فهو مريض ومعذور، ومع ذلك طالبه بضمان وفدية، وقد يطالب بالفعل نفسه كما في الصلاة، إذن الأعذار لا توجب من كل وجه سقوط الفعل وسقوط الإثم، ولذلك قد توجب رفع الإثم والفعل، وقد توجب رفع الإثم دون رفع المطالبة بالفعل، هنا طولب مع كونه ناسيا للصلاة يطالب بفعلها.

«**من نام عن صلاة، أو نسيها، فليصلِّها إذا ذكرها**» وقوله: «**نسيها**» ذهاب الشيء عن ذاكرة الإنسان، وعن إدراكه لو ذُكِّر به تذكر، هذا الناسي أنه إذا ذكر تذكر «**من نام عن صلاة أو نسيها**» ينساها بالشغل –نسأل الله السلامة والعافية–، فيشغل حتى ينسى الصلاة.

قال **–ﷺ–**: «**فليصلها إذا ذكرها**» وأصل التقدير فليصلها إذا استيقظ وإذا ذكرها، وإنما عاد على الأخير على عادة العرب في الاختصار، فليصلها إذا ذكرها إنما المراد نبه بكونه يصلي إذا ذكر على أنه يصلي إذا استيقظ من النوم، وكونه من النسيان والنوم عذر، وقال: «**فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك**» كما في الرواية في الصحيح «**فليصلها إذا ذكرها**» كما في الرواية الصحيحة «**لا كفارة لها إلا ذلك**» مثل الآية ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٰ﴾، والقراءة للذكرى كان يقرؤها بعض السلف على هذا الوجه، وقوله: أقم الصلاة للذكرى ضد النسيان أي: إذا ذكرت الصلاة فأقمها، هذه

الآية هي خطاب من الله -ﷻ- لموسى -عليه السلام- ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾، وهذا الخطاب في استشهاده عليه الصلاة والسلام به دليل على مسألة أصولية: (**شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه**)، فإن النبي -ﷺ- احتج بهذه الآية وهي في شرع من قبلنا، فدل على أن شرع من قبلنا شرع لنا، ولذلك يؤكد هذا الكتاب في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ ،ودل على أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه، ولذلك لما قيل لابن عباس: من أين أخذت سجدة (ص)؟ أي: سجدة داود في (ص) ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ﴾، فقال: من قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ فداود منه، فهذا أصل عند العلماء – رحمهم الله– في الاحتجاج بشرع من قبلنا أنه شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه.

٢٦ – وقال -رحمه الله-: «**وحدثني عن مالك عن زيد بن أسلم أنه قال: عرس رسول الله -ﷺ- ليلة بطريق مكة، ووكل بلالا أن يوقظهم للصلاة، فرقد بلال ورقدوا حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس، فاستيقظ القوم وقد فزعوا، فأمرهم رسول الله -ﷺ- أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي، وقال: إن هذا واد به شيطان، فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي، ثم أمرهم رسول الله -ﷺ- أن ينزلوا وأن يتوضؤوا، وأمر بلالا أن ينادي بالصلاة أو يقيم، فصلى رسول الله -ﷺ- بالناس، ثم انصرف إليهم وقد رأى من فزعهم، فقال: يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا، ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا، فإذا رقد أحدكم عن الصلاة، أو نسيها، ثم فزع إليها فليصلها كما كان يصليها في وقتها، ثم التفت رسول الله -ﷺ- إلى أبي بكر، فقال: إن الشيطان أتى بلالا وهو قائم يصلي، فأضجعه فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام، ثم دعا رسول الله -ﷺ- بلالا فأخبر بلال رسول الله -ﷺ- مثل الذي أخبر رسول الله -ﷺ- أبا بكر، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله**».

«**عن زيد بن أسلم أنه قال: عرس رسول الله ﷺ ليلة بطريق مكة**» هذه الحادثة الثانية والقصة الثانية، وهي وقوعها في طريق مكة برجوعه عليه الصلاة والسلام إلى المدينة.

«**ووكل بلالا أن يوقظهم للصلاة**» كما تقدم معنا تقدمت مسائله، وكَّل بلال أن يوقظهم إلى الصلاة، قال له: «ارقب لنا الفجر» مثلما وقع في الحادثة الأولى.

«**فرقد بلال ورقدوا حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس، فأستيقظ القوم وقد فزعوا، فأمرهم رسول الله -ﷺ- أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي، وقال: إن هذا واد به شيطان، فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي، ثم أمرهم رسول الله -ﷺ- أن ينزلوا وأن يتوضؤوا، وأمر بلالا أن ينادي بالصلاة أو يقيم**» كما تقدم ينادي بالصلاة، أو يقيم هنا على الشك، وفي الرواية الأخرى وهي ثابتة: **أنه أمره أن يؤذن، ثم صلى عليه الصلاة والسلام رغيبة الفجر، ثم أمره فأقام.**

«**فصلى رسول الله -ﷺ- بالناس ،ثم انصرف إليهم وقد رأى من فزعهم،**

فقال: يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا» ثم انصرف إليهم هذا الانصراف بعد انتهاء الصلاة، وفيه مشروعية وعظ الإمام الناس عند وجود الحاجة بعد الصلاة،

وكان رسول الله -ﷺ- إذا وُجدت الحاجة وعظ الناس بعد الصلاة وخطبهم، أما إذا أرد أن يعلمهم، وأن يبين لهم جلس معهم في الحلق، ومن هنا كان بعض مشايخنا -رحمهم الله- يكره جلوس الإمام في مصلاه بعد الصلاة كصلاة العصر ونحوها قبل أن يفرغ الناس من أذكار الصلوات فيبادرهم بالحديث؛ لأن هذا مخالف للسنة.

السنة أن يفرغ الناس من الأذكار، وأنه إذا أراد أن يحدث الناس ليس في هذا الموضع المخصوص بالإمامة والتقدم، وإنما يحدث له حلقة، وهذا هو فعل السلف وفعل الأئمة أن الإمام لا ينصرف إلى الناس ليحدثهم بعد الصلاة إلا في شأن كما وقع في الحديبية قال -ﷺ- لما أصبحوا وقد أصابتهم السماء، قال: يقول الله تعالى: ((**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**))، فبين لهم أنه من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فهو مؤمن بالكواكب كافر بي، ومن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فهذا مؤمن بي كافر بالكوكب وجدت الحاجة، ولذلك السنة أن هذا الموضع فيه تميز للإمام على الناس، ولذلك كان -ﷺ- يجلس في مجلسه عليه الصلاة والسلام، فإن أراد أن يحدثهم تحلقوا حوله في مجالسه للعلم، وأما كونهم من بعد صلاة الفجر كانوا يجلسون حوله، ويخبرونه الرؤى ويتحلقون حوله، فهذا شأن عام ليس له علاقة بالتشريع في تعليم الناس وتوجيههم، ولذلك تجد المحاريب والمنابر حينما لا يتكلم فيها الإنسان إلا لسبب وحاجة، ويتبع فيها السنة تستشعر الناس أهمية الكلام الذي يقال، فإذا أصبح الإمام دائما يتكلم فيها ويعظ فيها، ويبين فيها مخالفا للسنة، السنة أن النبي -ﷺ- كان يحدثهم في أماكن الحديث يتحلقون حوله والأحاديث في هذا كثيرة، وكان ربما جلس على منبره صلوات الله وسلامه عليه يجلسون حوله، أما في المصلى بعد الصلاة فهذا كان يكرهه بعض مشايخنا -رحمهم الله- ويقول: إنه لم يعرف من هدي السلف والأئمة، وخاصة إذا كان بعد الصلاة مباشرة يعني قبل أن يفرغ الناس من الأذكار.

وبعضهم يقول: إن الناس يذهبون يعني ما ينتظرون، كأنه يفرض عليهم أن يسمعوا،

وهذا خلاف السنة، السنة أن الإنسان يعلم الناس في مكان التعليم، ويوجههم في مكان التوجيه، ويتحرى سنة النبي -ﷺ- وهديه في جميع ذلك.

«فانصرف النبي ﷺ إلى الناس لما رأى من فزعهم» لأنه وجدت الحاجة لأن يوجههم.

«**فقال: يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا**» يا أيها الناس هذا عام أريد به الخصوص؛ لأن يا أيها الناس تشمل جميع الناس وإنما أراد الحاضرين الفازعين، وهو في الأصل يشمل جميع الأمة وكل من بلغه هذا الحديث فيما تقرر به من حكم وما فيه من مسائل شرعية.

«**يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا**» قبض أرواحنا يلاحظ أن بلالا قال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، والنبي -ﷺ- عبر عنها بالأخذ بقوله: قبض أرواحنا، فعبر بلال بالنفس، وعبر النبي -ﷺ- بالروح، فدل كما هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الروح والنفس شيء واحد، ويقوي هذا قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾، وقال: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ وفي الحديث الصحيح حديث البراء عند أحمد في مسنده : **إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ". قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ**» ، فقوله: تسيل نفسه، وجاء النداء: يا أيتها الروح فنودي بالروح ثم قال: تسيل نفسه فدل على أن النفس والروح شيء واحد، وهذا كما ذكرنا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

«**ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا**» ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا أي: لو شاء لردها في حين وقت الصلاة، فاستيقظنا للصلاة ولم تفتنا الصلاة، ولكن الله

شاء أن تفوتنا الصلاة، وأن نستيقظ بعد خروج وقتها.

«**فإذا رقد أحدكم عن الصلاة، أو نسيها، ثم فزع إليها، فليصلها كما كان يصليها في وقتها، ثم ألتفت رسول الله -ﷺ- إلى أبي بكر، فقال: إن الشيطان أتى بلالا وهو قائم يصلي، فأضجعه، فلم يزل يهدئه كما يهدَّأ الصبي حتى نام**» إن الشيطان أتى بلالا وهو قائم يصلي كما ذكرنا فيه مشروعية النافلة في السفر خلافا لمن كان يشدد فيها وهو مذهب بعض الصحابة قال عبد الله بن عمر: (**لو كنت مسبحا لأتممت الفريضة**)، والصحيح مذهب السلف من الصحابة والتابعين أنه يجوز التنفل في السفر، وفي الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يصلي على دابته إلا المكتوبة.

والمسألة الثانية: فيه مشروعية قيام الليل في السفر لأنه قال: قام يصلي وهذا في وقت الليل في آخر الليل، أنه قام يصلي وهذا ينشط النفس أكثر اختار بلال أن يصلي بالليل حتى يستعين بهذه الصلاة بعد الله -ﷻ- على البقاء إلى وقت الفجر.

«**وهو قائم يصلي فأضجعه**» ليس المراد وهو يصلي قال له: نم، لا، إنما المراد أنه ثقل عليه الصلاة شيئا فشيئا حتى لم يستطعها، فاختار أن يجلس بدل أن يصلي، وهذا يقع لمن يقوم الليل وهو مرهق أنه إذا وجد التعب رجع، والسنة أن المصلي بالليل إذا غلبه الإرهاق وغلبه النوم عليه أن ينام؛ لأن النبي -ﷺ- قال: فليرقد، فإنه لعله أن يذهب يصلي يدعو فيسب نفسه من الخلط، ذكرت هذا الحديث ذات مرة فقال لي أحد العامة: والله وقعت لي، قمت في الليل من شدة النوم والتخليط يقول لما أصبحت في التشهد أصبحت أسب نفسي والعياذ بالله، فهذا من السنة أنه إذا غلبته عيناه أنه لا يستديم في الصلاة؛ لأنه كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**ربما يذهب يدعو فيسب نفسه**"، وهذا من غلبة الشيطان؛ لأن النفس تضعف، فإذا ضعفت تسلط الشيطان، فلما ضعفت نفسه تسلط عليه الشيطان، فما زال يهديه كما يهدى الصبي ينوم مثلما ينوم الصبي، وللشيطان أساليب وحيل نسأل الله بعزته وجلاله أن يحول بيننا وبين كيده وهو السميع العليم.

«**ثم دعا رسول الله -ﷺ- بلالا فأخبر بلال رسول الله -ﷺ- مثل الذي أخبر رسول الله -ﷺ- أبا بكر، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله**» هذه معجزة من

معجزات النبي -ﷺ- أنه كان عليه الصلاة والسلام نائما فأطلعه الله -ﷻ- على ما لم يعلم، وبين له حقيقة الذي جرى، وأن بلالا كان يصلي.

النبي ﷺ كان نائما ما يدري هل بلال يصلي أو نائم أو مستيقظ؟ ولكن نبأه الحكيم العليم الخبير -ﷻ- أن بلالا كان يصلي، وأنه جاءه الشيطان فأضجعه، فأخبر بهذا، فهو معجزة من معجزات النبي -ﷺ- فلما أخبر أبا بكر -رضي الله عنه- وأخبر الصحابة حوله نادى بلالا بعد هذا بلال لم يسمع كلام النبي -ﷺ- أو يكون أخبر أبا بكر فيما بينه وبينه عليه الصلاة والسلام' ثم دعا بلالا.

«**فأخبر بلال رسول الله -ﷺ- مثل الذي أخبر رسول الله -ﷺ- أبا بكر**» أي قال: قمت أصلي بالليل، ثم مازلت أحس بالخدر، أو الثقل حتى جلست، واستندت على راحلتي ثم نمت، يحتمل أنه قال: ثم جاءني الشيطان فما زال يهدني، ويحتمل أنه حكى له الحال، وأصبح أمر الشيطان من أمر الغيب الذي أطلع الله -ﷻ- عليه نبيه عليه الصلاة والسلام.

«**فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله**» ونحن نشهد أنه رسول الله -ﷺ-، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيا عن نبوته، وصاحب رسالة عن رسالته، اللهم أعظم أجره، وأجزل مثوبته، وضاعفه له بأضعاف أضعاف ما ضاعفت للنبيين يا رب العالمين صلوات الله وسلامه وبركاته عليه إلى يوم الدين.

قال -رحمه الله-: «**باب النهي عن الصلاة بالهاجرة**».

تقدم معنا أن الهاجرة من الهجر، وأصله الترك؛ لأن الناس يهجرون أعمالهم في هذا الوقت، ويخلدون إلى الراحة، وقيل: لأن الناس في هذا الوقت يلزمون بيوتهم ومساكنهم، فلا يذهب أحد لأحد كأنهم تهاجروا، وكأنهم تقاطعوا، فسميت هاجرة، وكلا التفسيرين ذكره أهل العلم ومحتمل.

٢٧ – قال -رحمه الله-: **حدثني يحيى عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله –ﷺ– قال:" إن شدة الحر من فيح جهنم، فإذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة"، وقال:" اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين في كل عام: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف.**

قال -رحمه الله-: «**عن عطاء بن يسار أن رسول الله –ﷺ– قال: إن شدة الحر من فيح جهنم**» إن شدة الحر من فيح جهنم هذا خبر من النبي -ﷺ-، وهو من أمور الغيب، والفيح أصله اتساع وهيج الشمس وحرها؛ لأن أصل الأفيح الواسع، والدار الفيحاء هي الواسعة، وفي مثل هذا الوقت وهو منتصف النهار يشتد الحر، ويصبح متسعا في وهيجه وأذيته، وضرره بالناس، ولغيره من الحيوانات والنباتات.

«**إن شدة الحر من فيح جهنم**» وشدة الحر لا تكون إلا في الصيف، «إن شدة الحر من فيح جهنم» بأسلوب التوكيد؛ لأنه خبر عجيب وخبر غريب، ومن عادة العرب أن الأخبار الغريبة، والعجيبة، والغيبية لا تأتي خالية عن التوكيد يعني عند العرب إذا أخبرت بشيء يستغرب تعطيه توكيدا واحدا، فإن كانت الغرابة فيه أشد زدت بمؤكدين، فأصبح مؤكد بمؤكدين، فإن كان أشد تأكد بثلاثة، هذه عادة العرب يقبح أن يذكر الشيء الغريب بدون توكيد ويقبح أن يذكر الشيء الواضح الجلي بمؤكد؛ لأنه مستقر في النفوس ما يحتاج إلى أن يؤكد، وبناء على ذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إن شدة الحر من فيح جهنم» فأهل الطبيعة والناس الذين لا يؤمنون إلا بالماديات يرون أن هذا أمرا ولا يصدقونه، وإن كان الشرع في غنى عن تصديقهم وتكذيبهم، فالله لا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه طاعة المطيعين، أخبرنا عليه الصلاة والسلام أنا ما نجده من شدة الحر من فيح جهنم، وهذا له أصل في سياقه في الصحيح: **اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا،**

فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ "

أي: أن شدة الحر وشدة البرد من فيح جهنم، وهما زفرتان لنار جهنم أعاذنا الله وإياكم منها تكون في شدة الصيف وفي شدة البرد.

قوله: «**إن شدة الحر من فيح جهنم**» جهنم اسم من أسماء النار، ومن أسمائها لظى والسعير، والشيء إذا تعددت أسماؤه دل على خطره وعظمه وعظم شأنه، ولذلك لله تسعة وتسعون اسما لعظمته -ﷻ-، ويوم القيامة لما كان يوما عظيما سمي بأسماء عديدة: الصاخة، والطامة، والآزفة إلى غير ذلك من أسمائها، وجهنم لما كان لها شأن تعددت أسماؤها، وقيل: إن جهنم ولظى وسعير أسماء لدركاتها أعذانا الله -ﷻ- منها ومن دركاتها، ونسأله بعزته وجلاله أن يرحمنا وإياكم من النار ووالدينا ووالديكم وجميع المسلمين.

«**فإذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة**» هذا أمر من النبي -ﷺ- أنه إذا كان في شدة الحر، فإن صلاة الظهر تأخر عن أول وقتها، والإبراد من البرد ضد الحر، وليس المراد أن يكون بردا حقيقيا يعني البرد الذي يؤثر في الأجساد، وإنما هو البرد النسبي الذي تنطفئ فيه شدة الحر.

ومناسبته أن خروج الناس على الصلاة في هذا الوقت فيه مشقة، وفيه عناء، وقد حرصت الشريعة على عدم التضييق على الناس خاصة في صلواتهم وعباداتهم، فلو خرجوا في شدة الحر تأذوا، وتضرروا فخفف عنهم إلى الإبراد، هذا الإبراد نسبي قد جاء عنه عليه الصلاة والسلام لما كان في السفر وأراد بلال أن يقيم قال له: أبرد، ثم أراد مرة ثانية فقال: أبرد، وهذا يدل على رعايته عليه الصلاة والسلام لأحوال الناس، وكونه في السفر أخذ منه بعض العلماء أن الأمر ليس متعلقا بقضية الخروج للصلاة جماعة؛ لأنهم في الغالب في السفر يكون متواجدين قريبين من المكان الذي يصلي فيه عليه الصلاة والسلام، لكن من المعهود والمعلوم في الشرع أن ساعة زفرة النار أنها بساعة عذاب، وليست بساعة رحمة، ولذلك نهي عن الصلاة في وسط النهار قال -ﷺ-: "**فإذا انتصفت فأمسك عن الصلاة فإنها ساعة تسجر فيها أبواب جهنم**"، وهذا يدل على

أنها ساعة عذاب، وقوله: «**تسجر فيها جهنم**» أي: يزداد لهيبها، وهذا يتجانس مع قوله: «**إن شدة الحر من فيح جهنم**».

ظاهر هذا أن الأمر يختص بالصيف دون الشتاء أن تأخيرها عن أول وقتها في حال شدة الحر؛ لأنه قال: «إن شدة الحر» ،فهذا الحكم مختص، وشدة الحر لا تكون إلا في الصيف يختص بهذا الوقت.

وقال: «**اشتكت النار إلى ربها**» قوله عليه الصلاة والسلام: «**اشتكت النار إلى ربها**» للعلماء فيه وجهان: قال بعض العلماء: اشتكت حقيقة، وهذه الشكوى مبينة في قوله: «أكل بعضي بعضا»، وهذه هي الشكوى، وقيل: اشتكت مجازا لا حقيقة، وهو ضعيف؛ لأن الأصل حمل اللفظ على الحقيقة حتى يدل الدليل على المجاز، ولا مانع من حمل اللفظ على الحقيقة، وكون النار من الجماد فإن الله أنطق الجماد وأنطق الحي، قال: ﴿ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ أنطق كل شيء، قال **-ﷺ-**:" **إني لأعلم حجرا بمكة كان يسلم علي بالنبوة**" كما في الحديث الصحيح، وكان الحصى يسبح في كفه صلوات الله وسلامه عليه، فالله قادر على إنطاق النار، وعلى إنطاق كل شيء -ﷻ-، فكونه يقال: أنها جماد هذا ليس بصحيح، ومن هنا لما قيل: أَلِنار عينان؟ قال: إذن كيف يقول الله -ﷻ-: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾، فعين النار ليست كعين الآدمي، والله قادر على أن يجعل الجماد يبصر بقدرة، بل يجعل الجماد يحب قال -ﷺ- كما في الصحيح: "**أحد جبل يحبنا ونحبه**"، وهذا في الجماد وهو الجبل الحجر، فأخبر عليه الصلاة والسلام أن جبل أحد يحب، فإذا كانت هذه الصفات دلت عليها النصوص الصحيحة عن رسول الله -ﷺ-، فلا يسع المسلم إلا التسليم، والتصديق، والإذعان، وهذا هو الإسلام الاستسلام، وكون الإنسان لا يصدق إلا بما يعقل كمذهب العقلانيين يضل به ضلالا بعيدا.

السنة إذا ثبتت وصحت، فمعاول هدمها -والعياذ بالله- أن يعمل الرأي فيها لإفساد دلالتها، والمكابرة في معانيها، فيقول: كيف النار تشتكي؟!، نقول: نعم تشتكي، فإذا قال النبي -ﷺ-: تشتكي، نقول: تشتكي، وإذا قال الشرع تتكلم تقول: قط قط، نقول: تتكلم تقول: قط قط؛ لأن الله لا يعجزه شيء، وعلى المسلم أن يقف

عند النصوص موقف التسليم، والرضا، والتصديق، وأن يبتعد عن مسلك أهل الأهواء خاصة في هذه الأزمنة المتأخرة أن يقول لك البعض: أنا لا أفعل شيئا حتى أعرف كيف هذا الشيء ولست تابعا لكل ما يقال لي، وهذا شيء يُنشأ الناس عليه.

أصل الدين كله استسلام، وهذا هدم للأصل؛ لأن الناس لا يستقيم لهم أمر الإسلام بشيء مثل الاستسلام، وما سمي الإسلام إسلاما إلا لكون العبد يستسلم لله -ﷻ-، فإذا استسلم الأنبياء، فمن باب أولى أن يستسلم غيرهم قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾ جاء الفرج من الله -ﷻ- بالإسلام والاستسلام يأتي بالفَرَج، فإذا كان العقل يكابر في شيء، وأسلمت يرجع إلى الحق وإلى الهدى، وتقول: الله على كل شيء قدير، وهناك أمور غيبية إذا ثبتت بها النصوص على المسلم أن يسلّم بها برضا وبيقين، ويعلم أن الله -ﷻ- قادر على هذا، وعلى ما هو أكبر من هذا قال: فيفسح له في قبره مد البصر، طيب القبور فيها ملايين يدفن في الموضع الواحد، كل واحد يمد مد البصر، نقول: نعم، يمد له مد البصر، ويقول المؤمن المسلم المذعن يقول: هذا شيء سهل على الله -ﷻ-، أبدا ما عنده مشكلة يخرس بها أفواه الناعقين، والزاعقين، والمشككين دائما إذا جاءت السنة وجاء شخص يكابر فيها يقول له بكل برودة يقول: نعم نعم، هذا شيء ليس عندنا فيه جدال، وليس لنا فيه أخذ وعطاء نسلم به ونذعن، صحت به السنة كما قال أبو بكر: هو يقول ذلك، يعني: إذا قال ذلك فهو صادق رضي الله عنه وأرضاه، التصديق والتسليم أساس في الدين إذا صح النص عن رسول الله -ﷺ-، وصح الحديث عن رسول الله -ﷺ- بشيء فإننا نسلم به.

ونجد البعض يقول: الأحاديث نعرضها على العقل، وهذا مذهب أهل الفساد، العقل يعرض على النقل، وليس النقل الذي يعرض على العقل، والنقل لا يعارض العقل، النقل لا يعارض العقل، ولذلك دليلنا أن العقل جعل الله له حدودا، ومن هذه الحدود أنه إذا كان عاقلا قل له: إذا كنت عاقلا أعملت عقلك لم يلتبس عليك هذا الحديث شيء، يقول لك: كيف؟ تقول له: لأن من العقل أن تؤمن بأن الله على كل شيء قدير، وأن تؤمن أن عقلك هذا له حد معين، فإذا جاء الشرع وأخبرك بشيء وأنت تعلم أن هذا الشرع لا أصدق من الله قيلا لا فيما أنزله في كتابه، ولا فيما أوحى به إلى نبيه

عليه الصلاة والسلام، فعندها تعلم أن العقل له حد معين، كيف هذه تغلق بابها.

«يفسح له في قبره مد البصر» كيف طيب يحرق ويصير رمادا، ثم كيف إذا رمي في البحر وهو رماد، كيف إذا انفجر وتطايرت أشلاؤه بكل بساطة هذا شيء من أسهل ما يكون ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ هذا الذي ينبغي للإنسان أن يعلمه، العقل له حدود، ولذلك يقول الله -ﷻ-: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ أوقف العقول، وهو قادر سبحانه أن يفصل في عالم الأرواح تفصيلا لا يبقي معه شكا ولا ريبا، لكن علم سبحانه أن العقول لا تطيق هذا، ولذلك كان مشائخنا وكان العلماء -رحمهم الله- إذا جاءهم العوام يثيرون مثل هذه المسائل ما يجلس يصور له يقول له مثلا: والله ممكن أن القبر يفسح بكذا بكذا، يقول له: لا، الخلل عندك في الاعتقاد، وهو التسليم ليس الخلل في النص، أنت عبد مأمور، الذي يصلك من الوحي مأمور أن تسلم به، جئت تقول: ما أسلم إلا بما أعقل، هنا تجاوزت الحد؛ لأنه ما صارت ديانة ما صار تذلل لله -ﷻ- أصبح يحكم على الشرع لا الشرع حاكما عليه، هذا حكم الله -ﷻ- الذي خلق فقدر، وهو أعلم بما خلق، وهو -ﷻ- أعلم بكل شيء، ولا يخفى عليه شيء، ونحمد الله -ﷻ- أن عندنا العلوم الصافية الواضحة ما يحتاج المسلم إذا رجع إلى نصوص الكتاب والسنة وارتوى من هذا المعين الصافي لن يدخله شك أو ريب، لذلك قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أول صفة ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ وأول ما يحرص عليه يشككون الآن هدم الغيب والتسليم، ولذلك تجدهم ينزعون ثقة الناس من الوحي، وينزعون ثقة الناس من فهم الوحي، فيخلطون أقوال العلماء بعضهم ببعض ولا يجعلون للناس مرجعا في فتاويهم، وعلمهم يأتونه برأي ورأي يصادمه، وقَول وقول يصادمه، فإذا قيل لهم: اتقوا الله هذا يبلبل الناس، قالوا: لا، هذه حرية رأي ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾ فتفسد ذمم الناس بالتسليم، فتجده يقول: يا أخي أنت ما يقوله لك تصدقه، والله يقول: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، وما كل شيء تذهب به تسأل

عنه إلى العلماء، والله يقول: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ عكس تماما للشرع، ولذلك لن تجد أحدا يسير وفق الشرع مسلما مستسلما، نعم العالم بشر يصيب ويخطئ، يقول لك: يا أخي أنا عندي ثوابت، وعندي أمور تحتمل الأخذ والعطاء، عندي ثوابت ومسلمات، والله ما عندك ثوابت ولا مسلمات، ولو عندك ثوابت لأثبتّ ما أمرك الله بإثباته، وهو الإذعان لأهل العلم الثابت الأول عندنا أن الله يقول: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ أول من قدمه الله -عز وجل- أهل العلم الذين هم ورثة الأنبياء، فأشهدهم بأعظم شهادة على وحدانيته-سبحانه وتعالى-، وهذا يقول: لا، بشر هؤلاء، كلمة حق أريد بها باطل؛ لأنه إذا انهدم عند الناس التسليم، وانهدم عند الناس الاستسلام لن تستطيع أن تجد عندهم دينا، تنخرم عندهم أصول الدين، ثم يأتون بالكلام المعسول، ويَشيبون السم بالعسل، فيأتي الإنسان ويجد بريقا كما قالت الخوارج: لا حكم إلا الله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، البدع التي أحدثت في دين الله عز وجل كلمة حق أريد بها باطل.

يقول لك: يا أخي العالم بشر، قل له: أنت تقول إن العالم بشر أسألك هو كالبشر، فهمه كفهم الغير أو يختلف؟، فإن قلت: إنه كالبشر فهمه كفهم الغير نقول لك: كذب من قال ذلك وفجر، فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، وأنت تقول: من يعلم ومن لا يعلم في حد سواء.

ننبه على هذا؛ لأنه يطعن في الأصل الذي معنا تشكيك في شكوى النار، ومذهب العقلانيين في عدم التسليم بالسنة الصحيحة من أمثال هذا الحديث سببه الخلل في التسليم، والخلل في التسليم راجع إلى عدم اتباع الوحي؛ لأن الذي يتبع الوحي يسلم ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا ﴾ نكرة تشمل أيَّ حرج ﴿ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ قرَن الله التسليم بالإيمان، وأوقف إيمانهم على التسليم، ثم هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه الذي قيل له: أنه لا إيمان إلا بتحكيمه والتسليم بحكمه، يقول صلوات الله وسلامه عليه في الحديث الصحيح: «**العلماء ورثة الأنبياء**»، إذا كان العالم لا يُقبل قوله إلا بما نعرفه ومما نعلمه، ما هي مزية العالم؟ وأين مكان العالم؟ ثم ما هي الثوابت والمسلمات؟ يدخلك في

تناقضات وأوهام، هو يريد أن يخدعك، ولذلك يقولون: إن رجم الشيطان بالغيب وأذيته للناس بالغيب تجد الساحر إذا جاء ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ يأتون بالكلام يقول لك: والله أنا ما أعلم الغيب، ثم يدخل في صميم الغيب، يأتي ويقول لك: والله يا أخي إن علم الغيب عند الله -ﷻ- وفي سحرة كذابين دجالين تجد لما يأتيه العوام، والرعاع يخلطون لهم؛ لأنهم يعلمون أنه إذا سمع العامي هذا أذعن، فيعطيه من الكلام المعسول ما يوقعه في الدَخن كذلك بالنسبة لمن يأتيه الوحي بهذه النصوص الصحيحة، يقول لك: يا أخي الله --ﷻ فضل العقل ، والله فضل العقلاء، الله جعل للعقل منزلة، الله جعل التكليف موقوفا على العقل، الله جعل للعقل مكانة، الله فضل الآدمي على البهيمة بالعقل، العقل العقل العقل، قل له: إلى متى؟ العقل هذا بكل بساطة تقول له: هذا أمر أعرفه ما يحتاج تتكلم فيه، الذي فضلنا بالعقل ألزمنا بالنقل، والذي فضل العقل أوقف العقل في حد النقل، أنت تريد أن تخلط هذه القضايا، تقول: أنا ما أسلم إلا بما أعقل، ولا يمكن أن أقبل، بعضهم يقول: لا أقبل من عالم فتوى حتى يقنعني، ما شاء الله تبارك الله حتى يقنعني، ما قرأنا في كتاب الله وسنة رسول الله -ﷺ- شيء يسمى يقنعني، يقنعني هذه ما وجدناها؛ لأن إذا أصبح حتى يقنعني أصبح حاكما على الشرع لا الشرع حاكما عليه، هذا هو والعياذ بالله الهوى إذا أرادت أن ترى عيناك والعياذ بالله من ضل ضلالا مبينا، انظر إلى من نزع يديه من أولياء الله، وقال الإمام أحمد: إذا لم يكن العلماء أولياء الله فلست أدري من هم.

من هم أولياء الله إذا لم يكن أهل العلم، فمسألة التشكيك في مثل هذه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله -ﷺ-.

ومسألة التشكيك في الصحاح يأتون ويقولون: والله الصحاح فيها أحاديث غريبة، بعضهم والعياذ بالله يجرؤ ويقول: أحاديث ما يصححها العقل نسأل الله السلامة والعافية فيضرب، قل له: يا سبحان الله أنت الآن تصلي وتركع وتسجد بحديث بهذا السند؛ لأنه صح عن رسول الله -ﷺ-، ما الذي يجعلك تصلي، وتركع، وتسجد، وتفعل الدين، والعبادة كل يوم وأنت تتبع هذه السنة الصحيحة، هذا الذي يريد أن يهدم هذه الأحاديث قل له أسألك: يا أخي ما في القرآن كيف أركع، ولا صفة الركوع،

ولا صفة السجود، ولا ما الذي أقرؤه في حال القيام، والسنن الثابتة في الصلاة كلها ما هي موجودة في القرآن تفصيلا؛ لأنه الذي بينته السنة أعطني الآن أريدك أن تعطيني شيئا يدل عليه، يقول لك: والله في حديث وأحاديث هي التي بينتها الأحاديث الصحيحة، فقل له: يا سبحان الله صحيحة هنا وليست صحيحة هنا يحتكم إليها هنا، هذا تناقض، ولذلك أول من يرد العقل هم، لأن العاقل لا يتناقض، حينما أقول لك: أعمل بالسنة وأصلي وأزكي، وأصوم وأحج بهذه الأخبار فلان عن فلان عن فلان، ويقول: أنا ما أقبلها إلا إذا صحت، ثم يأتي بها هنا ويقول: لا ما أقبلها إلا إذا صدق بها العقل، هذا أمر فيه تناقض، وفيه إهدار للعقل نفسه؛ لأن العقل يستوجب عليه أنه إذا قبل بالسند الصحيح أن يصلي، ويركع، وهو أعظم في الديانة، فكذلك ينبغي عليه أن يسلم بالمغيبات؛ لأنها جاءت بالسند الصحيح، ولذلك تجد أهل الحق يقولون: إذا صح السند عن رسول الله -ﷺ- بالأمر فعلى المسلم أن يعمل به، وأن يعتقده إذا كان من أمر الاعتقاد يعتقده، ما يدخل هذه السفسطات، وأحاديث آحاد، والتفريق بين الآحاد والمتواتر، هذه كلها أمور ما كان يعرفها السلف -رحمهم الله-، المسلم إذا صح وثبت عنده الدليل عليه أن يعمل به وأن يعتقده، فقال- ﷺ- بالسند الصحيح: «اشتكت النار»، نقول: اشتكت النار، ويقول: «أذن لها بزفرتين»، نقول: أذن لها بزفرتين، ونقول: إن شدة الحر من فيح، لأنه قال: «إن شدة الحر من فيح جهنم» ، كون الأشياء الطبيعية التي أمامنا أجراها الله على السنن هي جارية على السنن، وهذا لا يناقض هذا، بل هذا زيادة علم صحت به السنة عن رسول الله -ﷺ- كما جاءت الأخبار في القرآن بالأمور المغيبات، فعلى المسلم أن يسلم بذلك كله، وأن يذعن له، نسأل الله بعزته وجلاله أن يرزقنا الرضا والتسليم.

«**فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين في كل عام**» فقولها: «أكل بعضي بعضا» تفسير للشكوى، وهذا الذي جعلنا نقول: إن الشكوى حقيقية «فقالت» العرب قد تعبر بالمقولة لوصف الحال، ويقولون: السنة جاءت بلسان العرب

امتلأ الحوض فقال قَطْني مهلا رويدا قد ملأت بطني

هو ما يتكلم، لكن حاله يدل على هذا المعنى.

فهم يقولون: اشتكت بهذا المعنى، ولكن الأصل الحمل على الحقيقة حتى يتعذر، أو يوجد قرينة تصرف اللفظ من الحقيقة إلى المجاز، هذا متفق عليه بين العلماء، حتى الذين قسموا اللفظ إلى حقيقة ومجاز اتفقوا على أن الأصل حمل اللفظ على الحقيقة حتى يدل الدليل على المجاز، فالتجوز في العبارة لا يمكن أن نصير إليه متى ما أمكن الحمل على الحقيقة، فلما قال عليه الصلاة والسلام: «قالت: أكل بعضي بعضا» هذا يدل على أنها اشتكت حقيقة، وأن الله أنطقها، وأن الذي أنطقها هو الذي أنطق كل شيء -ﷻ-.

«**فأذن لها بنفسين في كل عام**» أذن لها بنفسين في كل عام جاء في الصحيح تفسير ذلك: «فذلك أشد ما تجدون من الحر والزمهرير» يحتمل أنه إذا اشتد وهيجها أن النار فيها عذاب بشدة الحر، وفيها عذاب بشدة البرد، وهذا لا يعجز الله -ﷻ-، الله جعل النار على إبراهيم بردا وسلاما ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا ﴾ فالنار تكون بردا، وتكون حرارة، وهذا لا يستطيع أحد أن يفعله إلا الله، ولا يستطيع أحد أن يجعل في النار هذا الأمر على هذه الصفة المتضادة إلا الله وحده، قال بعض العلماء: لو قال الله: يا نار كوني بردا لأهلكت إبراهيم بالبرد؛ لأن الله جعل هذه الحارقة تنقلب باردة، لكن قال: ﴿ بَرْدًا وَسَلَامًا ﴾، ولو قال: بردا لكانت بردا عليه حتى ربما أهلكته، لكن قال: بردا يسلم به وليس بردا يؤذى به، هذا كله يدل على أن النار قد يكون فيها صفة البرد وصفة الحر، فلما قال: «فأذن لها بنفسين» ، فيكون نفس البرد شدة البرد من نفس الشتاء، وشدة الحر من نفس الصيف، وكلٌ من النار كما أخبر النبي -ﷺ- بذلك.

فيه دليل على أن النار موجودة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أن النار موجودة كما قال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾، وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه كان إذا أمسى يصيح فيقول: «أقبل الليل وذهب النهار وعرض آل فرعون على النار، وإذا أصبح يقول: أدبر الليل وأقبل النهار وعرض آل فرعون على النار»، والأحاديث في وجود النار صحيحة وثابتة عن رسول الله -ﷺ- أن النار موجودة الآن، منها أحاديث الإسراء ومنها حديث الحجر الوجبة وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي بين فيها النبي -ﷺ- أن النار موجودة، وهكذا الجنة.

«**فأذن لها بنفسين في كل عام: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف**».

٢٨ – قال –رحمه الله–: **وحدثنا مالك عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وعن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن أبي هريرة أن رسول الله –ﷺ– قال: "إذا أشتد الحر فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم"، وذكر أن النار اشتكت إلى ربها، فأذن لها في كل عام بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف.**

كالحديث الذي قبله.

٢٩ – قال –رحمه الله–: **وحدثني عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله –ﷺ– قال: "إذا أشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم".**

كل هذه الأحاديث والأخيرة موصولة، وسيأتي إن شاء الله الكلام على الأسانيد والرجال عند خاتمة الكتاب.

[الأسئـــــلة]

أثابكم الله فضيلة الشيخ، وباركم الله فيكم، ونفع الله بعلمكم الجميع، ونسأل الله جل وعلا أن يرفع درجاتكم، وأن يغفر لكم ولوالديكم وللمسلمين، فضيلة الشيخ يقول السائل: تقوم إدارة بعض الشركات إذا غاب أحد العمال لديهم يوما واحدا بخصم يومين، فهل هذا النظام جائز؟ أفتونا مأجورين.

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله، وآله وصحبه، ومن والاه أما بعد: فلا يجوز خصم شيء من راتب العامل إذا تأخر في يوم غير اليوم الذي أتمه، فإذا عمل العامل خمسة أيام، ثم غاب في اليوم السادس فإنه لا يجوز أن يخصم شيء من خمسة أيام، وهو داخل في الوعيد الشديد الثابت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**يقول الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم ومن كنت خصمه فقد خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فلم يوفه أجره**»، فقوله عليه الصلاة والسلام: «استأجر أجيرا فلم يوفه»، والغريب أنه قال: «لم يوفه» ما قال: لم يعطه انتبه لم يوفه يعني لو كانت أجرته مائة ريال وأعطاه مائة إلا قرشا واحدا دخل في الوعيد لم يوفه، فما بالك ممن منعه من راتبه أو خصم عليه من راتبه حتى أصبح بدل أن يأخذ أجرا كاملا يأخذ نصف راتب، إذا عمل الأجير فإنه يستحق الأجرة لقاء عمله، فالأيام التي غاب فيها ينقص من أجره في الأيام التي غاب، وأن الأيام التي حضرها لا يجوز أن يأخذ من أجرته شيئا هذا الذي عليه الأصل عند أهل العلم -رحمهم الله-، واشتراط أنه لا يعطى من راتبه فاسد؛ لأنه يؤدي إلى الجهل بالأجرة، لو قال له: إذا عملت عندي بالشهر وأيام تغيبها أخصم عليك يومين صارت الأجرة مجهولة؛ لأنه لا يدرى قد يعمل نصف الشهر ثم يغيب النصف الثاني فيحرم من الشهر هذا شرط تغرير، وفيه من الأذية والضرر، وأكل أموال الناس بالباطل، الأجير إذا تعب أخذ تعبه، وإذا عمل أخذ أجرة عمله، وهذه لم تكن معروفة عند المسلمين ما نشأت إلا بعشرات السنين المتأخرة، ولم يكن من سنن المسلمين أن يخصم من العامل غير اليوم الذي غابه لا نعرفه، وهذه كتب العلماء موجودة ودواوين أهل العلم موجودة، وقواعد الإجارة موجودة ما عرفت من معاملات المسلمين أنه إذا عمل يوما وغاب اليوم

الثاني يخصم عليه يومين، هذا ظلم وأكل أموال الناس بالباطل، إذا كان الوعيد إذا لم يوفه الأجرة، ورجل استأجر أجيرا ولم يوفه أجره حتى أن كان بعض الصالحين إذا استأجر الأجير يعطيه راتبا قبل نهاية الشهر، يخاف أنه ينتهي الشهر ولم يعطه، وفي الحديث: «**أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه**» الإجارة أمرها عظيم، وينبغي على هؤلاء أن يتقوا الله عز وجل، هذه من الإجارات الفاسدة والشروط الفاسدة، إذا أراد أن يُعاقبه يعاقبه بأمر مشروع لا بأمر ممنوع، إذا غاب اليوم يخصم عليه ذلك اليوم، أما أن يخصم عليه يومان هذا من أكل أموال الناس بالباطل، وهو ظلم للعامل والأجير، والله تعالى أعلم.

أثابكم الله فضيلة الشيخ إذا مُزق المصحف أيهما أفضل الحرق أم الدفن؟ وإذا حرق فهل الرماد يجمع يرمى أم يدفن؟ وجزاكم الله خيرا.

اختار بعض العلماء أن المصاحف إذا وجد فيها خطأ، أو تمزقت وتقطعت الآيات، أو حصل فيها خلل أنها تحرق، وأخذوا هذا من فعل الصحابة -رضوان الله عليهم- أنهم حرقوا المصاحف إلا مصحف الأم مصحف عثمان هذا أخذوه أصلا في أن القرآن عند إتلافه أنه يكون بالحرق، ثم بعد الحرق يدفن حتى يكون أبلغ في صيانته، والله تعالى أعلم.

أثابكم الله شيخنا الفاضل سائل يقول: لدي ابنان أحدهما تسع سنوات والآخر سبع سنوات، وأنا أحاول جهدي لإيقاظهم لصلاة الفجر فهل هي واجبة عليهم؟ وهل صلاتهم في البيت أفضل إذا كنت خائفا عليهم من قرناء السوء حيث لا أكون معهم في المسجد؟.

هو من حيث الأصل السبع والتسع يؤمرون بالصلاة كما قال صلى الله عليه وسلم: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر**»، والمراد أنه يصلي، فإذا كانت والدته في البيت تشرف عليه أن يقوم يصلي الفجر كفى، والمسجد زيادة خاصة إذا وجد الخوف عليه من الضرر، الفروض التي تخاف عليه من الضرر لا تصحبه معك، ولا يلزم أن تصحبه معك، إنما يقتصر على الفروض التي يغلب على ظنك أنه يكون فيها بمأمن من السوء، وهذا على سبيل الفضل لا على سبيل الفرض؛ لأن الله لم يوجب على

الصبي جمعة ولا جماعة، ولم يوجب عليه شيئا قال صلى الله عليه وسلم: «**رفع القلم عن ثلاث، وذكر منهم: الصبي حتى يحتلم**»، لكن إذا كنت تريد أن تروضه على الصلوات مع الجماعة فهذا أفضل، فإن وُجد خوف في بعض الصلوات تجعله في البيت وتوصي أمه، أو توقظه وتخرج إلى الصلاة، والله تعالى أعلم.

أثابكم الله فضيلة الشيخ سائل يقول: في هذا الزمن الذي هو زمن الفتن كثرت الانتكاسات عند الشباب عن الاستقامة فما هي عوامل الثبات على الدين؟ وجزاكم الله خيرا.

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ كان عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– كما ثبت عنه بالسند الصحيح إذا وقف على الصفا يقول: «اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فاستجب لنا كما وعدتنا، اللهم كما رزقتني الإسلام وهديتني له فلا تنزعه مني حتى ألقاك عليه» من شدة أمر الدنيا وعظم شأنه، أخوف ما يخاف الإنسان كسر الدين والعياذ بالله، وليس الأمر بالانتكاس بل حتى الانتقاص من الطاعة، من نعم الله عز وجل على العبد أن يرزقه الاستقامة، وأن يجنبه سبيل الخسران والندامة، وأن يفتح عينيه وبصيرته على ما هو مقبل عليه يوم القيامة، فإذا وُفق العبد واستبان له سبيل الرشد واهتدى إلى صراط الله المستقيم وطريقه القويم فعليه أن يتأدب مع الله عز وجل، وأن يعلم أنه لا يأمن بين عشية وضحاها أن يفارق هذه الدنيا.

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

لا يأمن أن يرجع إلى بيته لا يأمن أن يرجع إلى أهله، فعليه أن يكون قصير الأمل في الدنيا، وإذا قصر أمله عليه أن ينظر ماذا بعد الموت من قبر يُرهن فيه بعمله، ويجازى فيه على كسبه إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

أعظم الأسباب التي تعين العبد على الهداية والاستقامة عليها تعظيم الله جل جلاله، ومن عظم الله في قلبه أحبه، ومن أحب الله صِدق المحبة هابه، ومن هاب الله لا يمكن أن يرتضي غير سبيله سبيلا، ولا يرتضي عن هدايته، وتوفيقه ودلالته معلما، أو دليلا، الذي يهاب الله ويخشى الله عز وجل ويُسكِن قلبه الخوف من الله تعالى لا يمكن

أن يجد الشيطان إلى قلبه سبيلا، بقدر الخوف من الله بقدر الخشية يقيم الإنسان حاجزا بينه وبين عدو الله إبليس، ويقيم بينه وبين الفتن، والمحن، وشهوات الدنيا وملذاتها عصمة من الله عز وجل تعصمه، الخوف من الله والخشية من الله، ألم ينظر الإنسان أن الله هداه وأضل غيره، أن الله علمه وغيره جاهل، أن الله هداه السبيل وأقام له المعلم والدليل، ورزقه قراءة العلم وقراءة الكتاب والسنة، ومعاشرة الصالحين والخطى إلى المساجد، ومعاشرة أهل العلم فإلى أين يلتفت؟ إلى أين يلتفت؟ ما هو الشيء الذي هو أعز من الله؟ ما هو الشيء الذي هو أعظم من الله؟ تعظيم الله عز وجل والهيبة من الله تورث الخشية والمحبة، وإذا ورث العبد الخشية، والمحبة صار عنده الخوف والرجاء، وهما جناح السلامة والأمن الذي لا خزي معه ولا ندامة.

أوصيك أخي في الله، وأوصي نفسي وجميع إخواني في الله أن يحرصوا كل الحرص على شيء يبعث الخوف والرجاء وهو المعرفة بالله سبحانه وتعالى أن تتعرف على الله، وأن تجعل ساعات العمر ودقائق العمر تزيدك من معرفة بالله عز وجل، من الناس من استقام في طاعة ربه وكل يوم يتعرف على شيء يزيده خوفا من الله ورجاء فيما عند الله عز وجل، وهذه حقيقة الملتزم الصادق في التزامه، والمستقيم الصادق في استقامته، هو الذي كل يوم يستفيد من هذه الحياة شيئا يزيده خوفا من الله، ورجاءا فيما عند الله، من الناس من إذا ركنت نفسه إلى الشهوات والملهيات نظر في عظمة الله في سطوته ونقمته وأخذه، العبد حينما يكون مفتونا بالنظر حتى ينتكس قلبه، أو مفتونا بالسماع حتى يمرض قلبه وينتكس هل يستطيع أن يسأل نفسه من الذي نور بصره؟ ومن الذي شق سمعه وبصره؟ هل يستطيع أن يجلس مع نفسه ويسأل نفسه عن هذه النعمة التي لو سلبت منه ما استطاع أطباء الدنيا أن يعيدوها إليه؟

يا هذا تعرف على الله تعرف على ملكوته وعظمته وبطشه، إن النعم إذا كفرت آذنت بالنقم، كم من شاب جميلٍ في صورته جميل في شكله أغواه الشيطان، وأغوته الشهوات والملهيات، وجهل وازداد جهلا بالله عز وجل، وبُعدا عن الله حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، تعرف على الله، هذا الرب يغار يقول صلى الله عليه وسلم: «**لأنا أغير من سعد والله أغير مني ومن سعد**» الله يغار على النعم، حينما يرزقك الله جمالا،

أو مالا، أو صحة، أو عافية، أو فراغا استحيي من الله، وأنك لو عرفت من هو الله ما استطعت أن تصرف ذرة من هذه النعمة في غير طاعة الله.

كيف تخاف الله؟ سل وستجد الجواب، كم من أقوام قد هلكوا كانوا أجمل صورة وأكثر جمالا وجلالا ومالا ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ هؤلاء الذين من قبلنا كانوا أجمل منا، وأصح منا، كم من شاب قبلك كان في ثورة الشباب قطع في حدود الله وأذى المسلمين في أعراضهم، وزلت قدمه، وكل يوم ينظر وكأن النساء تنظر إلى جماله وصورته، وما دخل على امرأة حتى ولو كانت من قرابته إلا ويحس أنه أجمل الناس حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، منهم من مُسخ في صورته تعيش في جمالك في عز شبابك ثلاثة أو أربع سنوات لا تأمن في سنة من السنوات أن –والعياذ بالله– يطمس وجهك ويمسخ، فلا يستطيع أحد أن ينظر إلى هذا الوجه الذي طالما عصى الله عز وجل، وطالما أذى المسلمين في أعراضهم، حتى العين الظالمة الآثمة، تعرف على الله ما تنتكس لما تعرف أنه يغار على هذه النعم، ولما تعرف أن سطوته عظيمة وأن أخذه أخذ عزيز مقتدر لا تحسب أن الجمال يغني لك من الله شيئا إن كان الانتكاس بسبب الشهوات، واثرت في أعراض المؤمنين والمؤمنات تعلم أن لله خطوات تعرف على الله سبحانه وتعالى هذا في نقمته وأخذه، وتعرف على الله في كرمه وجوده كم من شاب في عز شبابه وهو من أجمل ما يكون، وأبهى ما يكون غار على نعمة الله عز وجل استحيا من الله يستخدم هذه النعمة في معصيته حتى بعضهم يضرب الورع أن يوقف نفسه في مواقف تفتن الناس، وتفتن نساء المسلمين حتى بعضهم يلبس أرذل الغطاء، وأرذل كله من أجل ألا يفتن بنات الناس، فأعطى له الله هذه النعمة، وأعطاه نورا في وجهه أفضل من نور الجمال.

أخي في الله ليس هناك أجل، ولا أعظم من الله تعرف على الله لن تنتكس.

الانتكاسة تأتي بالشهوات وتأتي بالفتن وتأتي بالمحن، فإذا عرفت من هو ربك الذي تستقيم على طاعته، وأنه سبحانه إن أطعته فلا أكرم منه، وإن عصيته فلا أشد بطشا منه، وأنه عزيز الانتقام عندها تخاف، وعندها تسير في طاعة الله عز وجل حتى تبلغ منتهاك، إذا عرفت الله عز وجل حفظك، ولذلك لا تتقلب قلوب أولياء الله؛ لأنهم

عرفوا الله عز وجل ولا ينتكس من كان مؤمنا على كمال الإيمان ويقارب كمال الإيمان؛ لأن قلبه مليء بالله عز وجل، أكثر ما يأتي الخلل من الغفلة عن الله عز وجل، وأكثر ما يأتي الانتكاس من الغفلة عن الله، إذا جاءك الشيطان من مدخل يصورك فيه في أكمل الصور، فاعلم أن هذه الصورة التي تراها جميلة جليلة أن الله سيزيدها جمالا إذا أطعته، وأن الله سيأخذك فيها أخذ عزيز مقتدر إن عصيته، كان رجل أعرفه من أكثر الناس عناية بجسده، وكانت فيه قوة عجيبة، وكان يتباهى بقوته -نسأل الله السلامة والعافية-، وكان يفتخر بها، وكان يسلك مسالك الرذى والرذيلة -أعاذنا الله وإياكم- جريئا على حرمات الله حتى جاء ذلك اليوم الذي ن-سأل الله السلامة والعافية- رأيت خاتمته وهو في حادث سيارة، وجسده فوق الأرض كدا مرة، وهو يرتفع في منظر لم يبق الله من حوله وقوته شيئا، ومات في شر ميتة، وكم يرى الناس في حوادث السيارات من الشباب الطائش والمتهور، والشاب الذي لا يفكر في ربه، ولا يفكر في خالقه، لا يفكر إلا في شهوته، وما يدريك فلعلها أَمَة من إماء الله أوذيت في عرضها، فرفعت كفها إلى الله فانتقم الله منك، وأن ما ينتظرك أشد وأبقى، على الإنسان أن يعرف من هو ربه نحن في خوف إلا أن يؤمنا الله، ونحن في عذاب إلا أن يرحمنا الله أن تحس من الآن أنه لا نجاة لك إلا بالله إذا أحسست أنك فقير إلى الله أمنك الله من كل خوف، وسلمك الله من كل شر، وثبتك الله على كل خير ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عليك أن تحذر، وأن تعلم من هو الله تعرف على الله عز وجل إذا كان عندك هذا الشعور من الآن أنك في خوف إلا أن يؤمنك الله، وأنك في قلق إلا أن يثبتك الله، وأنك في عذاب إلا أن يرحمك الله، وأنك تحت رحمة الله، وتتذكر قول الله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ما قالها الله إلا وهي حقيقة ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ والفرار ما يكون إلا عند الخوف، والفرار ما يكون إلا عند الوجل معناه أنه لا يسلم من الانتكاسة، ولا يسلم من البلاء إلا من فر إلى الله ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ والله أنذرنا وحذرنا، فعلينا أن نتقي الله عز وجل، وأن يحاول الإنسان كل يوم أن يزداد معرفة بالله عز وجل.

من امتلأ قلبه بالله عز وجل لم ينتكس قلبه، والقلب المليء بالمعرفة بالله عز وجل في عصمة من الله سبحانه وتعالى، وحفظ وكلأ ألا وإن المعرفة بالله عز وجل تزداد بقراءة

القرآن، بالنظر في ملكوت السموات والأرض، في الاعتبار بهذه الآيات أن يمسي الإنسان ويصبح وليس في قلبه إلا الله.

أخي في الله أعطاك الله أعز شيء وهو الدين فكيف تضيعه أعطاك الله عز وجل أعز شيء وهو الدين فكيف تهينه؟ من إهانة الدين أن الإنسان يشعر أنه ناقص، ولذلك ما تجد الانتكاسة إلا عند أقوام يجهلون الله -عَجَّلَ-، أو جاهلون أو متجاهلون، من الناس من ينتكس بسبب شهوة كما ذكرنا، لماذا؟ لأنه جاهل بالله عز وجل، والجاهل حتى بحقيقة الشهوات لذة ساعة وعذاب دهر، عليك بالمعرفة بالله عز وجل.

ومما يعين على المعرفة بالله كما ذكرنا كثرة تلاوة القرآن مع التدبر، وخاصة إذا كان الإنسان يتأثر بقراءة أحد فليدمن سماع هذه القراءة التي يتأثر بها، وأن يجعلها معه في قيامه وقعوده، وأن يحاول دائما أن يتباكى من سماع القرآن، وأن ينكسر قلبه، وأن يعيش مع الآيات التي تذكره وتنبهه؛ لأن الله يصلح بذلك قلبه، إياك أن يمر عليك يوم ولم تعرض قولك، وعملك على القرآن إياك أن يمر عليك يوم ولم تسمع ولو على الأقل جزءا، ماذا يأخذ منك الجزء؟ نصف ساعة من القراءة من الحدر فلتكن ساعة ساعة من أربع وعشرين ساعة تعرض فيها قولك وعملك على كلام الله عز وجل كثرة سماع القرآن ، وكثرة تلاوته والبكاء عند سماع القرآن، والخشوع والتباكي، والتأثر من أعظم أسباب انشراح الصدر وثباته على الطاعة وطمأنينته بالله عز وجل.

ثانيا: لا تحس أنه ينقصك شيء إذا كنت مع الله بهذا الشعور إذا شعرت أنك مع الله وأنك تزداد معرفة بالله عز وجل إياك أن تحس بالنقص كثير ممن ينتكسون يظن أن حياة الاستقامة والطاعة مثل السجن والعذاب، وأن الذين عندهم الشهوات والملهيات منعمون وأنهم مبسوطون وأنهم وأنهم هذا من خداع الشيطان، والله ثم والله لو كنت تعلم ما الذي يحس به هؤلاء العصاة من الحنين إلى حالك لأشفقت على نفسك، تراهم يضحكون في وجوههم ويبكون في قلوبهم، تراهم يتلذذون ساعة ويعذبون ساعات، تراهم يتبسمون ولكن ليس من قلوبهم، هذا في عذاب لا يعلمه إلا الله، وصدق الله إذ يقول: ﴿ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ﴾ في قلوبهم ضنك لكن لا تبوح به ألسنتهم، ولذلك تجدهم يخدعون، فمن كان منخدعا بفتن الدنيا جاؤوا ويعرضون له فتن

الدنيا، وكأنهم منعمون، لكنهم مكوون في داخلهم، فيعرضون شهواتهم وملهياتهم، وفتنهم ومعاصيهم وشرورهم، ولكن في قرارة أنفسهم يتألمون، ولو حكوا أمام الصالح، فإنهم يحكوه وكأنهم يشعرون بالنقص، وإذا بالصالح -نسأل الله السلامة والعافية- من كان مريضا مريض القلب يحس أن هؤلاء منعمون تمر عليهم فترى بهم السيارات الفارهة والفتن الظاهرة، لكن لا تعلم ما بداخلها كم من أقوام ملئت أيديهم من الأموال وهم في جحيم لا يعلمه إلا ذي العزة والجلال، والله إن هذا المال الذي تراهم يلهون به، ويعصون ربهم به يتعذبون به آناء الله والنهار عذاب عليهم، يفرق بين الوالد والولد، والأخ والأخت، والقريب والقريبة، ويفرق بين الصديق وصديقه لا تحسب أنه ينقصك شيء إذا استقمت، البعض في حالة استقامته يقول: أنا ما أجد شيئا يسليني، فتجده خاصة كما أخبر الله عز وجل ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾ لكن ماذا قال الله؟ ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ فبين ما ذكرناه أنه خسارة لا تظن أنهم في ربح بل هم في خسارة، فإذا كانوا في خسارة لا تشعر أثناء استقامتك والتزامك في طاعة الله أنه ينقصك شيء تذكر أنك إن جلست في مجلس علم، أو جلست في بيتك تكتب العلم، أو تسمعه، فليس هناك أحد أسعد منك، والله ثم والله ليس هناك أسعد من أهل العلم بالعلم، وأعطاهم الله عز وجل عزا رفعهم به عن ذلة غيرهم، وأعطاهم كرامة رفعهم بها عن مهانة غيرهم، الشعور بالنقص، تجد البعض إذا رأى المذنبين في شهوة من الشهوات، أو لذة من الملذات لو رآهم يذهبون يسهرون وهو لا يسهر، لو رآهم يضحكون ملأ أفواههم لو رآهم يسيرون وهم يتغامزون ويرقصون ويمرحون ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ هذا الذي تراه ضحك ساعات ودقائق وراءه بكاء الدهر ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا ﴾ وراءه البكاء المرير.

واعلم أخي في الله أن الله سبحانه وتعالى تكفل لمن أطاعه بأن يعوضه عن كل شيء، وهذا نشهد به لله إذا كنت في بداية شبابك، أو بداية طاعتك واستقامتك، ومرت عليك مواقف كما لو رأيت أحد يتلذذ بشهوة، وحبست نفسك عنها لله، والله لن تخرج من الدنيا حتى تذوق ألذ منها، ولو وجدته يضحك بحرمة الله، فليضحكنك الله

في طاعته، وإن وجدته مسرورا في معصية الله، فليسرنك الله سرورا لا حزن معه بطاعته ومرضاته، عوضك الله عن كل فائت، وفي الدين سلوى وفي الدين أُنس، وفي الدين الخير والبركة، الدين هو الخير كله، ومجمع الخير كله في طاعة الله ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ليس في الدنيا شيء يقلق إلا الخوف والحزن، فأخبر الله عز وجل، وشهد من فوق سبع سموات أن أولياءه لا خوف عليهم ولا يحزنون، ولذلك تجد هذه اللذة تحتاج إلى ثمن الثمن هو الذي تراه، هو الذي تسمعه لما تمر على العصاة، وترى ما هم فيه، فتحرس نفسك وتحبس نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي أقوام أمر الله خيرة خلقه أن يصبر نفسه معهم، فأي شيء أعز وأشرف من هؤلاء ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ أمره فرطا ما يسأل عن صلاة، ولا يسأل عن طاعة، ولا يسأل عن مال هل هو من حلال؟ من حرام؟ تجد الإنسان بعض الأحيان مديون ما يستطيع يسدد إجار بيته، ويرى العاصي يلعب بالمال يجلس بعض الأحيان جائعا ما يجد لقمة يطعمها، وقد لا يجد لبنته لقمة، ويعرض عليه الحرام ويرى أتحسب أنك إن صبرت وأنت تكوى بهذا أن الله يضيعك لا والله، وليفتحن الله عليك من أبواب فضله وغناه ما لم يخطر لك على بال، لكن بعد أن تصبر، وبعد أن تحتسب، الثبات على الاستقامة أن تشعر أن الله أغناك عمن سواه، وأن يكون عندك يقين أن كل هذه الشهوات، وكل هذه الملهيات لا تساوي شيئا في جنب النعمة التي أنت فيها، والله ثم والله لن يخرج العبد من الدنيا حتى يمتحن ويختبر ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ من الفتن أن يأتي الإنسان وهو في نعمة العلم، أو نعمة الاستقامة ويرى غيره هو يتعذب، أو يتألم في طاعة، ويجد من شدتها وبلائها على نفسه، ويرى غيره لا يسأل عن شيء، ولا يلوي على شيء، وإذا به يظن أنه في راحة لا والله

ما الجاه إلا الجاهُ عند الله الجاه عند الله خير جاه

هل تعلم أن مرارة العيش وأنك إذا عشت في ضيق هذه الدنيا، ونكدها وصبرت على الطاعة، ومحبة الله عز وجل أنه يعوضك الله إيمانا تجد حلاوته إلى لقائه، الله على كل شيء قدير المعرفة بالله عز وجل، وعدم الشعور بالنقص أمان بإذن الله عز وجل من

الانتكاسة.

مما يعين الإنسان على الاستقامة على طاعة الله كثرة ذكر الآخرة

صَـــاحِ شَمِّـــرْ لاَ تَـــزَلْ ذَاكِـــرَ الْمَـــوْ تِ فَنِسْـــــيَانُهُ ضَـــــلاَلٌ مُبِـــــينُ

ما تضل النفوس إلا بالغفلة عن الآخرة تذكر مثل هذه الساعات واللحظات إذا أسندت في لحدك، وأسندت في قبرك وأنت رهين الأجداث والبلا أين العلماء أين الكبراء أين العظماء أين الأغنياء أين الأثرياء أين الآباء أين الأمهات أين الإخوان أين الأخوات أين هم؟ طوتهم يد الردى وصاروا إلى الله جل وعلا وإلى ما صار قوم سائرون، وإلى منقلبهم منقلبون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تذكر أنه ستمر عليك مثل هذه اللحظة وأنت ضجيع اللحد ما الذي تتمناه؟ تتمنى تسبيح يزاد في صحيفة عملك تتمنى استغفارا يزاد في صحيفة عملك، مَن أكثر من ذكر القبر هانت عليه الدنيا، والله ما يلتفت إلى الشهوات، ولم يلو إليها ولو فتن بشهوة لا يتعلق بها قلبه تجده منتصبا نصب وجهه إلى الآخرة ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ ينظر أمامه نظر إلى علماء وصالحين كانوا معه بالأمس وإذا بهم اليوم كأن لم يكونوا، ونظر إلى أشرار وفجار كانوا بالأمس، وإذا بهم بين عشية وضحاها كانت الدنيا ترجف بأخبارهم وإذا بهم في طرفة عين قد انتهوا

كـــأن شـــيئا لم يكـــن إذا انقضـــى ومـــا مضـــى ممـــا مضـــى فقـــد مضـــى

والذي مضى مضى من عمرك.

كيف ينتكس الإنسان والقبر أمام عينيه لا يمكن ينتكس، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «**كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكر الآخرة**» ومن ذكر الآخرة سلم له دينه، وسلم بإذن الله من الفتن والمحن.

كذلك أيضا مما يعين على الثبات على الطاعة والاستقامة كثرة قراءة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله يثبت بسير الأنبياء القلوب كما قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ فإذا أردت أن يثبتك الله على الحق، فاعمل بالسنة والسيرة ،ولو حتى قبل ما تنام تجعل لك دقائق تقرأ فيها شيئا من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والله قلّ أن يمر عليك موقف في هذه الحياة إلا وقد سبق في السيرة مثله، أو

شبيه به تحرص على أن تقرأ سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن الله يثبت بها القلوب ويسلي بها الأرواح، مَن أكثر من قراءة سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج من ضيق هذه الدنيا إلى سعة الآخرة، من قرأ سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- هانت عليه الفتن والمحن والشهوات والملهيات، وكأن لسان حالي يقول: أريد أن ألحق بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وقد ابيضت صحيفة عملي.

كذلك أيضا مما يعين على الثبات على الطاعة والاستقامة صحبة العلماء، ومحبتهم وغشيان حلق الذكر؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**هم القوم لا يشقى بهم جليس**» والانتكاس الشقاء، وشهد النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه لا يشقى بهم جليس، لكن صحبة العلماء بالعمل بما يدعون إليه، من الناس من يصحب العلماء ويألف الذكر وينخدع أنه طالب علم، ثم يبدأ بالأماني، وينظر إلى طلبة العلم أنهم يحترموه ويجلوه، فيظن أنه شيء كبير، عليك دائما أن تحتقر نفسك، وأن تسمو بنفسك إلى الكمالات، وأن تتهم نفسك بالنقص، وأن تصحب العلماء تابعا لا متبوعا، أن تصحب العلماء وأنت تنتظر كلمة تدلك على الله، ولقد أدركنا من العلماء الصالحين الأجلاء الأخيار -رحمهم الله برحمته الواسعة وألحقنا بهم غير خزايا ولا مفتونين- كان الرجل منهم على قدم راسخ من العلم لا يستنكف أن يجلس في مجلس وعظ يذكر بالله عز وجل، وكان بعضهم إذا جلس في بعض مجالس الوعظ يبكي ويتأثر وهو من العلماء، وقد يكون من يعظه أحد طلابه، هكذا يكون طالب العلم إذا صحب العلماء لا يصحبهم غرورا، ولا يحس أنه بمجرد أن يحضر الدرس، والدرسين أنه قد انتهى كل شيء، لا بل يخاف ويحس أنها مسؤولية وأنها أمانة، وأنه محسوب على أهل العلم بقدر ما ترى في فضل أهل العلم من الخير، فاعلم أن مخالفة هذا الحق والاستهانة بهذا الأمر والنعمة التي أنعم الله عليك بها بطلب العلم أنه يورث الفتنة والبلاء، ولذلك الصحابة -رضوان الله عليهم- الذين صحبوا النبي -صلى الله عليه وسلم- ارتفعت درجاتهم، لكن ماذا كانت صحبته؟ كانت صحبته ينادوه من وراء الحجرات حذرهم الله عز وجل من ندائهم أن تحبط أعمالهم، وهم لا يشعرون، الشيء إذا عز وعظم الأجر فيه، فاحذر من ضده، واحذر من الفتنة فيه، فإذا صحبت العلماء لا تصحبهم مفتونا اصحبهم -رحمك الله-

تابعا لهم تابعا لأمر الشرع لا معظما لذواتهم، ولا لأشخاصهم، ولا غاليا فيهم، بل تعتقد حبهم في الله وودهم في الله، وتتواصل معهم على طاعة الله دون غرور، لا تغتر بصحبة أهل العلم، وكثيرا ما ينبه أهل العلم -رحمهم الله- على الاغترار بصحبة أهل العلم العلماء، والصالحين وأن أقواما هلكوا بهذا الاغترار، كَمِّل في صحبتك لهم، كيف تكمل؟ لا تجلس مجلسا إذا أردت أن تكون على استقامة لا تنتكس معها، أوصيك ألا تجلس من مجالس أهل العلم إلا وقد خرجت بشيء يثبتك على طاعتك أي مجلس تشهد، وانتبه من أن تكون ناقلا لأحاديث المشايخ قبل أن تكون متأثرا بها، أول شيء تسمعه وتتأثر وتكون أنت المعني به، ولا تنطلق للناس تقول: والله الشيخ تحدث اليوم عن موضوع كذا وكذا، ولكن قل: يا نفس أين أنت من هذا الكلام؟ صحبة العلماء بالعمل، وصحبة العلماء بالرغبة والرهبة خير كثير ما قال صلى الله عليه وسلم: «**هم القوم لا يشقى بهم جليس**» هذا من الوحي الذي لا يمكن أن يشك في صدقه أن من صحب العلماء ولزم حلق الذكر أنه لا يشقى، والانتكاسة شقاء، فمن أراد أن يعصمه الله بعصمته فلا ينتكس، فليلزم حلق الذكر، ولكن يلزمها كما ذكرنا بالعمل بها.

كذلك أيضا مما يعين على الثبات على الطاعة، والاستقامة، ومحبة الخير، والحرص عليه أن الإنسان يحرص على قراءة سير العلماء والصالحين، والأخيار وزيارتهم، وحبهم في الله تجعل لك في هذه الحياة صديقا ترى من خلال أقواله، وأعماله شيئا يذكرك بالله عز وجل، فإذا صحبت الأخيار، والصالحين، فإن الله سبحانه وتعالى يثبت قلبك على الطاعة، أخوك الصادق في أخوتك لن يرى منك عيبا إلا ستره، ولا نقصا إلا كمله، ولا كسرا إلا جبره بإذن الله عز وجل، ما سمي الصديق صديقا إلا لأنه يصدق من معه، فإذا وجدت رجلا صادقا ناصحا يُهدي إليك عيوبك، ويثبتك على طاعة ربك

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا رَيْبُ الزمان صَدَعَك ... شَتتَ فيكَ شملَه ليجمعك

يشتت شمله فيك، فإذا وجدك على طاعة ثبتك على طاعة الله، إنها الأخوة التي يظللك الله بها في ظله يوم لا ظل إلا ظله، تحب أخا لك في الله وتراه يكون أخير وأصلح منك حتى تقتدي بسمته ودله، أو يكون معك تحاول أن تكون معه متعاونين متآزرين

على طاعة الله ومحبة الله، وتحذر من الفتن في الصحبة والغرور فيها، وتحرص كذلك على معونته على طاعة الله ومحبته في الله وألا تؤذيه.

مما يعين على الثبات على الهداية، أو من الأسباب التي تعين على الثبات الحذر من ضدها هناك أمور تكون سبب في الانتكاسة، ومن أعظمها أذية الناس أذية الصالحين أذية الأخيار هذه من أسباب الانتكاسة «**من عادى لي وليا فقد آذنته بحرب**» وكثر عند المتأخرين نسيان حقوق المسلم على المسلم، نسيان حقوق أهل الفضل من الصالحين والعلماء، فضلا عن عوام المسلمين، فتجد الآن بعض الناس يقع في علماء وأجلاء من أموات المسلمين، وعلمائهم، وأجلائهم ما يكون سبب في انتكاسة قلبه والعياذ بالله احذر أولياء الله.....